





زفاف البنات



منشورات مكتبتي الخاصة

الروايات الاجتماعية

٢٢

جمال شاهين



زفاف البنات

٧

٢٠٢٥

منشورات مكتبتي الخاصة

١٤٤٧- ٢٠٢٥

زفاف البنات

جمال شاهين

قسم الروايات الاجتماعية ٩



شارع سيدو عدنان

٧

أعلم من العائلة أن لى عما يعيش فى لندن ◉ لأننى ولدت بعد هجرته إلى أوروبا ◉ وعلمت أن ابنا له قتل فى مشاجرة فى ناديه الخاص ◉ وأصيب هو بالشلل ◉ ثم علمت انه قرر العودة لوطنه الأول معاقا وبصحبة زوجته الصربية الأصل وبناته الثلاثة للعيش بيننا ◉ فكلفنى أبى برعاية العم وأسرته قدر الإمكان .. فقبلت القيام بالمهمة الإنسانية فاستأجرت شقة لهم فى حى الغزال حيث اسكن أنا فى شارع سيدو عدنان حى السفاح ◉ كانت شقة واسعة وجيدة لأسرة العم وأثثتها بكل ما يلزم من عفش وأدوات ◉ وكنت فى استقبالهم فى المطار ◉ ورحبت بهم وتعرفت على عمى لأول مرة وأسرته ◉ ونقلتهم إلى مسكنهم بكل سلام وترحيب .

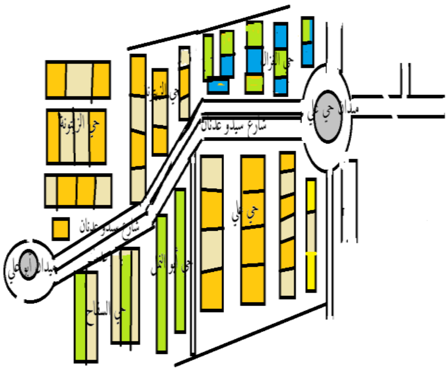
لم أكن افكر بالزواج من احدى بنات العم لاختلاف عاداتنا عن طباعهم الإنجليزية ◉ فهن من مواليد بريطانيا وتعلمن فيها مهنا لا تروق لأسرتنا ◉ تعلمن الرقص والعزف فى الملاهى والنوادى وصالات الفنادق الكبيرة ◉ فهذه وظائفهن ◉ لكن حدث لهن انقلاب حقيقى بعد استقرارهن بيننا ◉ رغبن بالتغيير للحياة الأفضل ◉ فتزوجت الصغيرة منهن ◉ واستطعت بفضل الله أولا وآخرا من تزويج الكسندرا وكاترينا ◉ وعدن لأصلهن العربى الإسلامى ... سامى سيد عدنان .



جمال شاهين

زفاف البنات

قصة هذه الأسرة لم تبدأ من شارع سيدو عدنان بدأت قصتهم من لندن كما سنرى ؛ ولكن كان للشارع الشهير نصيب من أحداثها ، كانت القصة في العشر الأواخر من القرن العشرين ، شارع سيدو عدنان يقع شماله حيان كبيران حي الغزال وحي الزيتونة ، هناك شارع يمتد من شارع سيدو عدنان الرئيسي صعودا إلى آخره من الأعلى اسمه شارع عمو غزال ، فهو يمتد شمالا حتى آخر الشارع ربما طوله كيلو مترا ، وفي أخره عمارة ضخمة من اليمين وأخرى على شاكلتها من الشمال ، وكل عمارة تطل على شارع آخر بمعنى أن كل عمارة منهما تنفذ على شارعين ، لكن الأهم هنا شارع عمو غزال ، وكل عمارة منهما تتكون من ستة طوابق فوق

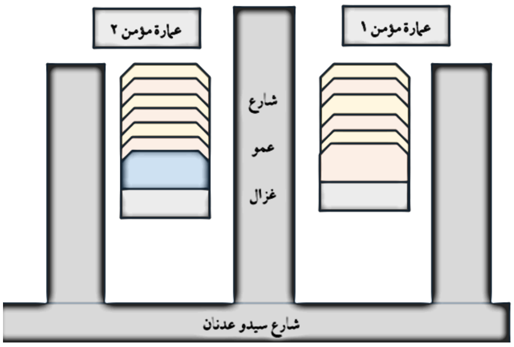


الأرض والطابق الأرضي لكل منهما مؤجر كمحلات تجارية على دائرة مساحة العمارة ، والطوابق الخمسة الأخرى في كل طابق منها أربع شقق ، وتحت الأرضي طابقان لكل منهما مواقف سيارات لسكان العمارتين والمحلات التجارية ، وفي العمارة في الطابق الأرضي المطل على شارع عمو غزال يوجد مكتب واسع لموظفي إدارة العمارتين ، يديره الشاب نعيم ومعه المحاسب معن ومهندس صيانة دائم اسمه عمير ، وكل عمارة لها اكثر من مدخل ومصاعد تصل للطابق السادس وتنزل أيضا على الطوابق السفلى ؛ حيث مواقف السيارات.

احدى البنايات تؤجر شققها العشرون شققا مفروشة ، والأخرى تؤجر تأجيرا دائما حسب العقد ، ولم تباع أي شقة ، كلها مشروع استثماري للسيد المهندس المعماري مؤمن سعد .

كان نعيم مدير ووكيل المهندس مؤمن يرشد احد الأشخاص إلى شفته التي استئجارها من قريب لقريب له اسمه أمير سيد فؤاد ، رجل عائد من الغربة في بلاد الإنجليز منذ عمر طويل تفقد الشاب الوكيل القريب الشقة المستأجرة ، ووعد بنقل العفش والأثاث الجديد إليها خلال

أيام ، وهذا الوكيل طبيب ويكون ابن أخ أمير سيد فؤاد ، ولما انتهى من الفرجة نزل لمكتب الإدارة في الطابق الأرضي للعمارة اليمنى ، ووقع على العقد ودفع الإيجار للمحاسب عن ثلاثة اشهر فقط ، وخلال أسبوع كان الأثاث الجديد يصل العمارة وينقل بواسطة العمال للطابق الرابع الشقة رقم ١٣ حيث يكون مدخلها من جهة شارع عمو غزال اقرب للدخول والخروج .



ولما اكتمل شراء الأثاث والأدوات اللازمة للمطبخ والطهي بعد أسبوع جاء المستأجر برفقة ابن أخيه ، وقد كان عليلا يجلس ويتحرك على كرسي متحرك ، ومعه امرأته وثلاث نسوة ، اخبر نعيما بأنهن بنات عمه أمير ، واتفق مع نعيم انه هو المسؤول عن أسرة عمه ، لأن عمه مشلول إلى حد كبير نتيجة اعتداء كارثي في لندن ، وزوجته يوغسلافية ليست عربية ولا يفقهون العربية ، فكل شيء يطلب من الأسرة فليكن التعامل معه مباشرة ، فكتب نعيم كل تلك الملاحظات في دفتر مذكرات المكتب ، وهكذا استقر السيد أمير صاحب هذه الحكاية في عمارة مؤمن .

***

تحدث بعد أيام من نزول وسكن أسرة أمير سيد فؤاد العمارة احد حراس الليل مع نعيم قائلا :

هذا الرجل ساكن شقة ١٣ اتصل قرب نصف الليل يطلب مساعدة

ـ مثل

ـ أن اشتري له طعاما .. فقلت لا استطيع ترك المكتب وشراء الطعام ؛ ليس ذلك من ضمن عملنا يا سيدي ! فقال لا احد عندي كلهم يعملون في الليل قلت له ما يعملون فقال في الفنادق ويتأخر رجوعهم

قال نغيم للحارس : الرجل معاق مشلول كما اخبرنا ، ولم يفصل ماذا يعملون في الفنادق ؟

ـ لا ، فاعتذرت له وصرخ عليّ بكل قلة أدب ، وأقول لك ذلك لعله يشكوني إليك لتكن في الصورة

ـ جيد انك قلت لي ذلك .. فليتعاقد مع خادم أو خادمة تلبي له حاجاته ما دامت كل أسرته تعمل ليلا .. ألم تكن زوجته عنده ؟

ـ لا ، قال الكل يعمل في الفنادق ليلا

ـ سنعرف ماذا يفعلن ويشتغلن في الفنادق اذا اتصل اليوم ؟

ـ ضروري يا أستاذ نعيم

ـ لا تقلق انصرف بعد حضور البديل .. هذا الرجل العليل معه اربع نساء زوجته وبناته الثلاث مكتبنا ستكون علاقته بابن أخيه هو الذي تعاقد معنا ودفع الإيجار عن فصل واحد.. هم قادمون من لندن للحياة هنا

ـ قمت بواجبي فأخبرتك

ـ أحسنت يا صديقي! ها هو زميلك مقبل إلى اللقاء

***

انشغل بال نعيم والمحاسب معن بوظيفة سكان الشقة الجدد ؛ فكان يقول لصاحبه : يتركون الرجل العليل ويعملون الأربعة في الليل حتى أنه يستنجد بأيوب الحارس الليلي لشراء طعام وهل الشقة لا يوجد فيها طعام ليأكله؟ لهم أسبوع في الشقة

قال معن مستغربا : كلهن يشتغلن ليلا ما القصة؟! يبدو أن لهم حكاية يا أبا وائل .. لا اعتقد انه يسأل عن طعام اعتقد انه يريد شرابا مسكرا

ـ أنا هذا وقع في قلبي من كلام أيوب؛ كما خمنت أنت .. هل يتركونه بدون طعام ؟ نصف ليل يطلب خبزا وطعاما

ـ أقال ابن أخيه شيئا عن سبب شلله ؟

ـ قال حادث في بريطانيا ، ولم يشرح ما هو الحادث ؟ وحتى أنا استغربت من وجود كل هؤلاء

النسوة بدون ذكر .. هل ينفق عليهم أشقاؤه هكذا وقع في قلبي ؟ إنهن يشتغلن حتى زوجته ماذا تعمل النساء في أنصاف الليل ؟!

قال المحاسب : أيعملن بنات هوا كلهن ؟! مصيبة .. الوظائف الإدارية اغلبها في النهار إلا بعض المناوبات للمؤسسات المهمة

قال نعيم : سنعرف المزيد عن هذه الأسرة مع الأيام

رن جرس الهاتف قال نعيم : نعم ، ونظر لمعن باسما وهمس : الطبيب قريبهم

ـ أهلا دكتور سامي

ـ عمي ليلة امس كان وحيدا في الشقة واحتاج لمساعدة منكم

ـ قال لي الحارس عن ذلك ، ونحن لا نستطيع تقديم مساعدة كالتي طلبها عمك طلب منه طعاما ، والرجل الحارس لا يستطيع ترك مكتب يتعامل مع عشرات الشقق لخدمات شخصية سيدي الدكتور

ـ المناوب واحد

ـ واحد للطوارئ والحراسة الليلية فيتصل بي أو بالمهندس لتصليح عطل طارئ في مصعد في إضاءة .. أما خدمات خاصة فلا دخل للمكتب بها .. وعمك قلت انه مشلول فلماذا يترك وحده بدون طعام ؟

ـ هو كان يرغب بشراء خمر يا سيد نعيم ! الطعام في الشقة متوفر لأيام ؛ لكنه فقد الشراب يبدو انهم نسوا شراء ذلك له ، فلم يجد إلا المكتب أنا آسف

ـ ماذا يعمل أهل عمك ليتغيبن كلهن مرة واحدة ؟

ـ هؤلاء يا سيدي يعملن في الرقص والعزف في احد الفنادق الكبرى ، وهن عدن للبلد بسبب مرض العم وعجزه عن العمل ، فطلبن نحن منه العودة لرعايته قدر المستطاع .. أسرة فاسدة خلاصتها ؛ لكنهم أقارب لنا ، فزوجة عمي يوغسلافية الأصل وتعلمن الرقص والعزف وتعاقدن على العمل وهن في بريطانيا مع فندق كبير في المدينة ، وهن كن يحيين حفلات خارج

لندن وداخلها

ـ كان الله في عونكم .. لماذا لم يتعاقدوا مع شغالة خادمة لرعاية عمك ؟

ـ ربما يفعلوا ذلك ، قلت لك هذه التفاصيل لتعذر الرجل ببعض تصرفاته النزقة فعلينا تحمله يا أستاذ نعيم

ـ شرحت لك عدم قدرتنا على ترك المكتب أثناء ساعات الليل بدون موظف .. الأحداث تحدث في كل وقت .. ونحن في بيوتنا تحت الطلب مثل العسكر والشرطة والإسعاف.. شكرا على التوضيح حتى يتفهم الواحد منا سبب الغياب الليلي لهن وترك المسكين وحيدا ..ربما الشغالة تساعده

ـ لكنه عنيف للأسف وقد يؤذي من يخدمه .. تأتيه ساعات يفقد أعصابه كما نقول .. شكرا لكم سلم على الزملاء

ـ الشكر لك أيضا على توضيح الصورة

***

قص على المحاسب ما سمعه فقال : وضحت الصورة فعلا إلى حد كبير .. سهرات الفنادق وصالات الرقص تكون عند نصف الليل في الغالب .. يا لها من وظيفة لهن !

قال نعيم مفسرا : هؤلاء الغربيون يشتغلون في كل شيء .. اليوم الرقص له مدارس ومعاهد كما نسمع حتى من ذلك في بلادنا .. فالرقص المصري معروف لنا في الأفلام والمسلسلات المخزية .

ـ صحيح يظهر لي مما تفوهت به أن الرجل غضوب، ويخشون من جلب خادم له أو خادمة

قال : وكذلك عيش ذكر معهن مشكلة يا معن ! فالرجل ميت الطبيعة وهؤلاء اربع نسوة عازبات .. فلا تحمد العواقب

ـ ليس له أي ذكر !

ـ لا ادري .. لم يتطرق الطبيب لذلك .. لا يملكن سيارة حسب ما قيل لي من موظف الكراج

قال : المهندس عمير أشار لذلك ؛ لأنهن ذات نهار احتجن لسيارة فاتصلن بالمكتب وطلبن رقم مكتب تكسي عداد فأعطاهن بضعة أرقام

ـ بعد زمن ستتعود على تصرفاتهن كسائر المستأجرين ..

ـ لماذا هجروا لندن يا معلم نعيم ؟

ـ ربما كما قال سامي بسبب شلل الرجل .. والأغرب قبول النساء العودة معه وعملهن هناك سيكون افضل من هنا

***

بعد أيام قليلة بعد ما ذكر توقف شاب أمام مكتب الإدارة يسأل عن رقم شقة أمير سيد فؤاد

فقال نعيم : لماذا ؟ أولا من أنت ؟

ـ احد المواطنين

ضحك نعيم : أنت احد المواطنين .. هل يسكن هنا الاسم الذي ذكرته ؟

ـ هكذا قيل لي

ـ نحن لا ندري أين يسكن كل مستأجر يا سيد احد المواطنين ؟

ـ لا تعرفون

ـ حتى لو عرفنا لا يجوز أن نقول لك يا احد المواطنين

ـ ممكن استخدم الهاتف

فأشار نعيم إلى الهاتف قائلا : تفضل الهاتف قدامك يا احد المواطنين

ضرب الشاب رقما وقال : أين شقتكم ؟

ـ الرابع ١٣

ـ أنا في مكتب الإدارة أنا أرسلني سامي لخدمتكم هل انتم جاهزون ؟

ـ السيد جاهز هل حددتم المستشفى المناسب؟

ـ سنذهب به لأفضل مستشفى كما اتفقنا مع سامي الحكيم

ـ اصعد نحن في انتظارك

وضع السماعة وقال وهو ينظر لنعيم بضيق : أنا مندوب مستشفى الشرق .. نزيل الشقة يحتاج لمستشفى شكرا لكم

قال عمير : أنا رأيت سيارة الإسعاف تقف بعيدا بدون تزمير فقلت الله اعلم من هو مريض في الشقق ؟!

قال نعيم : لو أوضح لنا المهمة لساعدناه ؛ لكنه تغابى

***

لم يتغيب السيد طويلا في المستشفى مع أول ساعات الليل عاد للشقة ، وبرفقته ابن أخيه سامي الذي صعد به للأعلى وبينما هو يخرج من العمارة لاحظ المدير الإداري على العمارة يقف أمام البناية فسلم عليه ، فدعاه نعيم لدخول المكتب وشرب كأس من الشاي أو القهوة فقبل الدعوة وصافح الموظفين الجالسين في المكتب ودخل مع نعيم إلى مكتبه داخل المكتب الكبير وجاء المهندس عمير للجلوس معهم ، وترك المحاسب مع بعض المراجعين فقال المهندس : كيف عمك الآن ؟

قال : الحمد لله ! عمي لا يريد أن يقتنع انه مشلول فلو صدع رأسه خذوني إلى المستشفى وبعد صور وتحاليل يخرجوه ؛ فليس بحاجة للمبيت فيعمل ضجة في المستشفى للمبيت

قال نعيم : ما قصة مرضه وسبب تعب أعصابه ؟

قدم فراش المكتب الشاي واستأذن الطبيب بالتدخين مما دفع المهندس أن يقول : تدخن يا دكتور وتنصحون الناس بترك الدخان

فقال الطبيب ضاحكا : الكلام ليس كالفعل يا حضرة المهندس .. مشاكل الحياة تجعل الشخص يحشش ليس فقط يدخن .. هذا العم قصته قصة .. اختصرها لكم لتتحملوا أي إزعاج منه لكم

قال نعيم : تفضل .. الفضول يدفعنا فعلا للتساؤل

ـ عمي أمير خرج في السبعينات لدراسة الطب في بلغراد على نفقة الحركة اليسارية العالمية ،

وهناك أثناء الجامعة التقى بتمارا زوجته الوحيدة طبعا وكأي شاب تعلق بها ، وكانت هي تتعلم في كلية فنون وموسيقى ورسم ومهتمة بالسياسة ونتيجة مشاكل في حزب تيتو اليوغسلافي تعرضت للأذى وهربت لبريطانيا على أنها مضطهدة سياسية ، ولحق بها أمير قبل أن يكمل دراسته وتزوجها هناك .. وصارت تعمل في ملاهي ونوادي لندن في الرقص اليوغسلافي



وزوجها اشتغل في كل ملهى عملت فيه ، وكانت في النهار تعمل في معهد تدريب على الرقص الغربي والإنجليزي والأمريكي الشائع في تلك البلاد ، وولدت لعمي اربعة أولاد ثلاث بنات وولد ، ولما تفككت يوغسلافيا إلى ست دول إن لم أخطئ بالرقم أنشأت نادي ومطعم ليلي خاص بها وبالأسرة ، فابنتان تعلمتا الرقص الغربي ، وواحدة تعلمت العزف على عدد من الأجهزة كالأورغ والبيانو وغيرهما والشاب الوحيد لعمي رقاص كالبنات الراقصات ، وذات ليلة تعرض الملهى لمشاجرة من شباب ورجال من أصول ومهاجرين



يوغسلاف من رواد النادي وعلى معرفة بتمارا ، وصار اطلاق نار وأصابت رصاصة فوك ابن عمي وقتل فورا ، ورصاصة طائشة أصابت ظهر عمي أدت لشلل كبير في بدنه .. ونتيجة لذلك اغلق النادي الليلي والمرقص فطلب منه والدي العودة والعيش معنا فهذا ما حدث

قال المهندس حزينا : فعلا مأساة قاسية !

قال نعيم : لا حول ولا قوة إلا بالله .. هل بناته عزباوات كما يبدو؟

ـ هناك الزواج آخر المطاف .. وهن عدن مضطرات في رأيي ؛ وليس محبة بوالدهن وقيل إنهن محبات لذلك قبلن الرحيل والله اعلم بالصواب ..فقد تعاقدن مع اضخم فندق في البلد وأرقاه لإحياء حفلات منتصف الليل بالموسيقى والرقص الثنائي وغيره من الديسكو والفالس والباليه

والأسماء الغريبة ؛ ولكنها تعجب رواد تلك الأماكن من العرب والأجانب .

***

الفالس هو قالب إيقاعي والذي تحوّل فيما بعد إلى نوع رقص، بدأ في النمسا وألمانيا، ومنهما انتشر في أنحاء كثيرة من العالم ، وإما الديسكو فهو نوع من موسيقى الرقص وثقافة فرعية ظهرت في السبعينيات من مشهد الحياة الليلية الحضرية في الولايات المتحدة ، يتجسد صوتها بإيقاع فور أون ذا فلور، وباس لاينز متزامنة ، ومقاطع وترية، وأبواق، وبيانو كهربائي وآلات السنثسيزر، وقيثارات إيقاع كهربائي ، بدأت موسيقى الديسكو كمزيج من الموسيقى من أماكن شائعة بين الأمريكيين الأفارقة ، والأمريكيين اللاتينيين ، والأمريكيين الإيطاليين خلال أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات ، يمكن اعتبار الديسكو كرد فعل من قبل ثقافة الستينيات المضادة على هيمنة موسيقى الروك ووصم موسيقى الرقص في ذلك الوقت. . تطورت العديد من أنماط الرقص خلال فترة شعبية الديسكو في الولايات المتحدة، وإما الباليه هو نوع من الرقص يقوم على تقنيات الرقص التعبيري ترافقه الموسيقى والإيماء والمشاهد المسرحية، ومن أهم خصائص الباليه الحركية، الرقص على رؤوس أصابع القدمين. عادة ما يتعلم الطلاب مصطلحات الباليه والنطق والمعنى وشكل الجسم بدقة وكل حركة مع مسماها، ويتم التركيز على تطوير المرونة وتقوية الساقين والقدمين ، بالإضافة إلى أساسيات الجسم (المركز أو العضلات الجوفية أو الباطنية) باعتباره نواة قوية وأمر ضروري للقدرة على الالتفاف، وكذلك العديد من حركات الباليه الأخرى.

***

بداية المعرفة

نعود لبداية اللقاء بين أمير العربي المسلم وتمارا الصربية الأرثوذكسية في جامعة بلغراد اليوغسلافية وكلاهما يحمل الفكر اليساري فهؤلاء عندهم الدين أفيون الشعب مقولة ماركس الملحد الألماني ، ولنتعرف أولا على دولة اسمها يوغسلافيا كتاريخ ، مملكة وجمهورية ، تشكلت الدولة الجديدة باتحاد مملكة صربيا مع دولة سلوفينيا وكرواتيا التي كانت قد أعلنت استقلالها بعد تفكك الإمبراطورية النمساوية المجرية بسبب الحرب العالمية الأول ، في البداية عُرفت الدولة باسم " مملكة الصرب والكروات والسلوفينيين "

في عام ١٩٢٩ ، تم تغيير اسم الدولة إلى " مملكة يوغوسلافيا " بعد الحرب العالمية الثانية ، تحولت يوغوسلافيا إلى " جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية الاشتراكية " ثم تفككت عام ١٩٩٢ كليا ، مع نشوء عدة دول مستقلة سلوفينيا، كرواتيا ، البوسنة والهرسك ، مقدونيا الشمالية، صربيا والجبل الأسود (والتي انقسمت لاحقًا إلى صربيا والجبل الأسود)

جمهورية يوغوسلافيا الاشتراكية الاتحادية كانت بلدًا في جنوب شرق ووسط أوروبا ، ووُجِدت منذ تأسيسها في أعقاب الحرب العالمية الثانية حتى تفككها في عام ١٩٩٢ في خضم الحروب اليوغوسلافية ، كانت جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية الاشتراكية محدودة بالبحر الأدرياتيكي وإيطاليا غربًا ، والنمسا وهنغاريا شمالًا وبلغاريا ورومانيا شرقًا ، كانت دولة اشتراكية واتحاد تحكمه رابطة شيوعيي يوغوسلافيا ، وتتألف من ست جمهوريات اشتراكية وعاصمتها بلغراد .. وبالإضافة إلى ذلك، ضمت مقاطعتين متمتعتين بالحكم الذاتي داخل صربيا هما كوسوفو وفويفودينا .. يمكن تتبع أصول جمهورية يوغوسلافيا الاشتراكية الاتحادية حتى ٢٦ نوفمبر ١٩٤٢ ، حين تأسس مجلس التحرير الشعبي لمكافحة الفاشية في يوغوسلافيا خلال الحرب العالمية الثانية .

في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٥ ، أُعلن قيام جمهورية يوغوسلافيا الشعبية الاتحادية بعد خلع الملك بيتر الثاني وإنهاء نظام الحكم المَلَكي ، حتى عام ١٩٤٨ ، انحازت الحكومة الشيوعية الجديدة إلى

الكتلة الشرقية تحت قيادة جوزيف بروز تيتو في بداية الحرب الباردة ، ولكن بعد انقسام تيتو ستالين في عام ١٩٤٨ ، اتبعت يوغوسلافيا سياسة الحياد ، وأصبحت واحدة من الأعضاء المؤسسين لحركة عدم الانحياز ، وانتقلت من الاقتصاد المخطط مركزيًا إلى الاشتراكية القائمة على السوق ، حافظت جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية الاشتراكية على الحياد خلال الحرب الباردة كجزء من سياستها الخارجية .. في أعقاب وفاة تيتو في الرابع من مايو ١٩٨٠ ، بدأ الاقتصاد اليوغسلافي في الانهيار ، الأمر الذي أدى إلى زيادة البطالة والتضخم .. ونتج عن ذلك حدوث الانشقاق بين الأعراق المتعددة داخل الجمهوريات المؤسسة .

مع انهيار الشيوعية في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي فشلت المحادثات بين الجمهوريات بشأن تحويل الدولة الاتحادية إلى كونفدرالية بعد انفصال أغنى جمهوريتين (كرواتيا وسلوفينيا) في عام ١٩٩١ اعترفت بعض الدول الأوروبية باستقلالها ، انهار الاتحاد على امتداد حدود الجمهوريات الاتحادية ، تلا ذلك بداية الحروب اليوغوسلافية والسقوط النهائي وتفكك الاتحاد في ٢٧ أبريل ١٩٩٢ .

***

خلال فترة حكم جوزيف تيتو ليوغوسلافيا ، كانت جامعة بلغراد جزءًا من الدولة الاشتراكية التي يقودها تيتو ، وشهدت الجامعة تطورات مختلفة في تلك الفترة .. تأسست جامعة بلغراد عام ١٨٦٣ ، وهي أقدم وأكبر جامعة في صربيا ، تعتبر الجامعة مؤسسة عامة للتعليم العالي في صربيا . .تضم الجامعة ٣١ كلية و ١١ معهدًا بحثيًا .

في عهد تيتو ، كانت يوغوسلافيا دولة اشتراكية ذات نظام سياسي فريد ، وكانت جامعة بلغراد جزءًا من هذا النظام . .شهدت الجامعة تطورات خلال هذه الفترة ، مع تزايد عدد الطلاب والمؤسسات التعليمية .. شهدت الجامعة أيضًا بعض الاحتجاجات الطلابية في عام ١٩٦٨ ، والتي طالبت بإصلاحات اجتماعية واقتصادية .. ألقى تيتو خطابًا تلفزيونيًا أقر فيه بمطالب الطلاب واستجاب لبعضها ، مما أدى إلى وقف الاحتجاجات . .ومع ذلك ، تعرض قادة

الاحتجاجات فيما بعد للاضطهاد .

في ليلة ٢ يونيو ١٩٦٨، بدأ طلاب جامعة بلغراد إضرابًا لمدة سبعة أيام.. ردت الشرطة بضرب الطلاب المتظاهرين وحظر جميع التجمعات العامة.. تجاهل الطلاب المتظاهرون الحظر، ثم تجمعوا في كلية الفلسفة ، وعقدوا مناقشات وخطابات حول العدالة الاجتماعية ، ووزعوا نسخًا من مجلة" الطالب "المحظورة . . كما احتج الطلاب على الإصلاحات الاقتصادية، مما أدى إلى ارتفاع معدلات البطالة ومغادرة العمال للبلاد والبحث عن عمل في أماكن أخرى في ليوبليانا تجمع أكثر من ٥٠٠٠ شخص في ساحة بريسيرن تم تفريقهم بعنف من قبل وحدات الشرطة من كرواتيا باستخدام الهراوات والغاز المسيل للدموع ومدافع المياه أصيب المئات.. وقد قدم كبار الشخصيات العامة ، وعدد كبير من أساتذة الجامعات دعمهم للاحتجاجات ، وفي أثناء ذلك وجدوا أنفسهم يواجهون مشاكل في حياتهم المهنية بسبب ارتباطهم بالاحتجاجات.

ألقى جوزيف تيتو خطابًا متلفزًا أدى في النهاية إلى وقف الاحتجاجات ، حيث أقرّ بأن "الطلاب على حق" واستجاب لبعض مطالبهم. ومع ذلك، في السنوات التي تلت انتقم من قادة الاحتجاجات بسجن الطلاب وطرد أساتذة جامعيين معارضين من مناصبهم ومناصبهم في الحزب الشيوعي

***

كانت الأفكار الشيوعية تنتشر بين شباب العرب والمسلمين والعالم منذ مطلع القرن العشرين ولم تستطع إنشاء أحزاب قوية كالتي نشأت في أوروبا الشرقية ، ولما انتصر السوفييت في الحرب الثانية طمع اليساريون العرب والاشتراكيون بإنشاء أحزاب يسارية قوية ، فظهر البعث السوري والبعث العراقي أحزاب اشتراكية وضعيفة شيوعيا ، فصار الشباب البعيد عن التدين مفتونا بالدول الشيوعية دينا والاشتراكية اقتصادا وسياسة وكانت بلدان الحلف السوفيتي تستقطب الطلاب العرب ببعثات رسمية أو فردية للدراسة في كلياتها ؛ لأن الابتعاث احدى

وسائل نقل الأفكار الخبيثة والطيبة ، فرحل أمير سيد إلى جامعة بلغراد لدراسة الطب في صربيا وهناك التقى بالآنسة تمارا طالبة الفنون والموسيقى ، واصبحا أصدقاء جامعة ، وكانت الفتاة لها اهتمامات سياسية ونشاط ضمن أحزاب شيوعية حتى انتهت باضطهاد تيتو للطلاب والاعتقال فرحلت إلى بريطانيا بلجوء سياسي ، وبعد حين لحق بها عشيقها أمير وتزوجا زواجا إنجليزيا وكانت الفتاة الهاربة تعمل في الرقص في ملاهي بريطانيا ، وفي نفس الوقت تدرب على فنون الرقص الغربي في معاهد خاصة بذلك ، وكان زوجها الذي هجر الطب يعمل معها ؛ حيث تعمل في نوادي ليلية أو صالات رقص في فنادق ، وخلال عملهما وعيشهما أنجبت له الكسندرا وكاترينا وفوك الابن الوحيد ثم ميرا ، وطاب لهما العيش والدخل من عملهما في تلك النوادي حتى كبر الأولاد ، واحترفت الكسندرا الرقص الغربي كأمها ومثلها كاترينا ؛ ولكنها أضافت العزف على البيانو والاورج وإحياء الحفلات الموسيقية مع أختيها الكسندرا وميرا وشقيقها فوك حتى أن أميرا بعدئذ أنشأ وتمارا ناديا ليليا خاصا بهما يقيمان فيه حفلات رقص وموسيقى فكان المرقص والنادي عبارة عن مطعم يقدم وجبات طعام في النهار والليل ، وفي نصف الليل حفلات رقص وطرب ، والرقص قد يقوم به ثنائي أو اكثر باستعراضات معينة أو صالة رقص عامة للعشاق والأزواج كصالات الديسكو حتى ساعات متأخرة من الليل ، وكانت لتمارا شهرة كبيرة تكونت مع الزمن هي وأسرتها حتى الكثير من مهاجري يوغسلافيا بعد التفكك كانوا من زبائن مطعمها الذي اشتهر بتقديم الوجبات الصربية والغربية وكذلك الرقص الأوروبي الشرقي والغربي .

***

الأورج آلة موسيقية إلكترونية ذات لوحة مفاتيح ، تُعرف أيضًا باسم البيانو الرقمي أو الكيبورد ، يشبه الأورج البيانو في الشكل والمفاتيح ، ولكنه يعتمد على الكهرباء لإنتاج الأصوات بدلاً من الأوتار والمطارق . . الأورج عبارة عن لوحة مستطيلة تحتوي على صفوف من المفاتيح البيضاء والسوداء، تمامًا مثل البيانو .

عند الضغط على المفاتيح، يتم تشغيل نغمات موسيقية مختلفة، ويمكن للعازف التحكم في سرعة النغمات وارتفاعها . . البيانو آلة وترّية ، مثل العود حيث تصدر الأصوات من خلال أوتار مشدودة تهتز بواسطة مطارق ، بينما الأورج يعتمد على الإلكترونيات لإنتاج الأصوات .

يستخدم الأورج في مختلف أنواع الموسيقى، ويتميز بإمكانية تغيير الأصوات وتأثيراتها بسهولة .

تطورت آلة الأورج مع تطور التكنولوجيا ، وأصبحت تحتوي على العديد من الميزات المتقدمة مثل القدرة على تسجيل العزف وتعديله وإضافة مؤثرات صوتية

أما البيانو فهو آلة موسيقية صوتية وترية تُضرب فيها السلاسل بواسطة المطارق وتُعزف باستخدام لوحة المفاتيح ، اخترعه الإيطالي بارتولوميو كريستوفوري عام عام ١٧٠٠ م،وقد أتت تسميته بالبيانو اختصاراً لكلمة بيانوفورت ، تصنع المفاتيح للبيانوهات الغالية من عاج الفيل.

إذن هو آلةٌ موسيقيةٌ غربيةٌ ذات مفاتيح تضرب على مجموعةٍ من أوتارٍ معدنيةٍ لتصدر أصواتاً ونغماتٍ مختلفة ،مع العلم أنّ هذه الآلة مشابهةً لآلة القانون الشرقي، حيث إنّ النغمة الموسيقية الواحدة تنتج من اهتزاز ثلاثة أوتارٍ على ترددٍ واحد، ويبلغ طول آلة البيانو ٢٧٠ سم ومجالها الصوتي سبعة أوكتافاتٍ وربع ، والأوكتاف هو السبع نغمات (دو، ري، مي، فا ، صول، لا ، سي) موزعةً على السلّم الموسيقي، وتكون الدرجة الثامنة دو جواب الدرجة الأولى.

***

لقد كانت أسرة أمير تعيش بسعادة دنيوية في مجتمع بريطانيا ،عائلة رقص وموسيقى وحفلات ومطعم وكحول ورحلات ونزهات في مجتمعات مخملية كما يقال ، ولا تخلو حياتهم من منغصات وكرب يزول سريعا وبعد أيام كسائر البشر حتى كانت سنة ١٩٩٦ فشكلت مأساة قاتلة للأسرة المهاجرة ، بعدما كبر الأولاد واصبحوا ذوي قدرات على العمل والشغل مع الوالدين واستطاعوا إنشاء نادي ومطعم الشرق الأوروبي للمتعة والسهو والرقص والعزف كانت مجموعة من الشباب أو الكهول ذوي الأصول من شرق أوروبا من صربيا وكرواتيا

يسهرون في الملهى الليلي كسائر أهل السهر والمتعة ، وكان احد الشباب صديقا لالكسندرا من سنتين أو اكثر وهي البنت الكبرى لأمير ، أثناء السهرة والسكر والطرب حدث شجار كأي شجار بين الزبائن ، فطلب صديق الكسندرا منها أن تطرد المتشاجر معه وذلك قبل بداية حفلة الرقص ، فقام فوك صديق عشيق أخته بمحاولة طرد الشاب الغاضب فدفعه ليخرج فهو غير مرغوب فيه في الملهى الليلي ، فرفض الشاب الغاضب الانصياع ؛ بل صفع فوك على وجهه غضبا فقام عشيق الكسندرا حمية بضربه انتقاما لأخ صديقته ، فما كان من الشاب الغاضب أن نهض عن الأرض قائما ساخطا غاضبا شاتما ، واطلق الرصاص على فوك وعشيق الكسندرا ، وكان والد الكسندرا قريبا من المعممة ؛ ربما لتهدئة المتشاجرين فأصابته رصاصة في ظهره ، وامتلأ النادي صياحا وصراخا وعويلا ، وحضرت الشرطة اللندنية والإسعاف فكان من نتيجة المعركة مقتل شابين وإصابة أمير في ظهره .

اعتقل المهاجر الكرواتي ورفاقه ، ونقل أمير مصابا للمستشفى وزوجته المنهارة عصبيا وبناتها ، واستمر القضاء والتحقيق مدة سنة يعالج القضية وجلساتها ، واصبح وجود الأسرة في لندن صعبا أمام الجالية الصربية والكرواتية ، فاتصل أمير بشقيقه الأكبر منه ، ورتب معه امر رحيله للوطن بعد فقد ابنه الذكر الوحيد ، ودبر له الشقيق الأكبر امر تلك الشقة في عمارة مؤمن شارع سيدو عدنان الشهير ، وكانت الأم وبناتها قد تعاقدت مع الفندق الإنجليزي الضخم في بلاد زوجها لإحياء حفلات الرقص والعزف ، وقبل الفندق عملهن في صالة الرقص ومطعم السهر وكان في انتظار رحيلهن ، ولما عدن لوطن زوجها العليل وبعد استراحة لأيام باشرن وظيفتهن حيث تقوم كاترينا بالعزف على الآلات الموسيقية باحتراف لمدة ساعتين كل ليلة ، وأخواتها يقمن بالرقص الغربي وعروضه المتنوعة أو مشاركة الزبائن الرقص تحت الأضواء الملونة والراقصة على جولات لمدة ثلاث ساعات يوميا .

***

نزلت الكسندرا من سيارة فخمة أمام العمارة مومن ١ وقالت لصديقها السائق الذي نزل

يودعها : هذه العمارة التي نعيش فيها غرفة ١٣ الطابق ٤

فقبل يدها وقال : سأكون الليلة هنا سلمي على امك وأختيك (نطقها باللغة الإنجليزية)

فقالت بصوت مرتفع : إلى اللقاء توم

دخلت البناية وركب توم السيارة وانطلق مبتعدا ولاحظت أن الحارس يتابعها فابتسمت له قائلة : كيف أنت أيوب ؟

ـ بخير يا مدام

ـ لست مداما بعد أيوب

ـ حسنا يا آنسة

ـ سلم على نعيم رئيسك

ـ سلمك الله كيف الوالد ؟

ـ طيب إلى اللقاء قالتها (باي باي)

ركبت المصعد إلى الرابع وقال أيوب : هل يرقصن بثيابهن أم عراة ؟

فقال عمير : الرقص له ملابس خاصة يا أيوب كأنها عارية إلا العورتين

ـ نحيفة جدا

ـ هكذا اكثر الراقصات يحافظن على نحافتهن ورشاقتهن من اجل النط والقفز والحركات البهلوانية اللاتي يقمن بها

ـ قالت سلم على نعيم هل يعرفها نعيم ؟

ـ يعرفها بالوجه يا أيوب لم يرقص معها حسب اطلاعي

ـ إنها تعرف اسمه

ـ بسبب الإدارة لهذه الشقق ومشاكلها

انصرف المهندس للداخل وقال لنعيم : ابنة المشلول تسلم عليك هكذا قالت للعم أيوب

ـ هذه بنت عم سامي اسمها يوغسلافي أصيل الكسندرا ..كأن العم صار صربيا ؛ لأن

يوغسلافيا اختفت من الخريطة الدولية صارت ست جمهوريات

ـ لدينا مشكلة في مؤمن ٢

ـ مشكلة شقة أبي ليلى

ـ نعم ، المرحاض يحتاج لتغيير لا ادري كيف كسر المقعد؟

ضحك نعيم وقال : شيء ما وقع عليه ، لم أتصور بعد ما هو .. هل خمنت؟

ـ لا بالضبط لا اعرفه .. لا ادري ما يدخل الناس في الحمام من أثقال !

ـ لابد من تصليحه وتغييره .. هل حضر عمالك ؟

ـ الليلة اشترينا مقعدة جديدة

ـ الشغل في الليل إذن

ـ إن شاء الله

***

قالت تمارا لاكسندرا : قد لا اذهب الليلة للرقص فإني متعبة ، وما زلت متعبة اعتذري لرايكس مدير الصالة وانا ليلة امس شكوت له تعبي وما أعاني من الضغط النفسي والصداع

قالت الكسندرا : وربما أنا لا اذهب مثلك ، فقد قابلت توم وسيأتي البيت الليلة وقد نسهر بعيدا عن الفندق

قالت ميرا : ماذا يريد توم ؟ أفشل مخرج قابلته في لندن

ـ جاء لتصوير رقصات لي في فيلم سيخرجه ، وهو يبحث عن فريق تصوير محلي ليصور المشاهد الخاصة بي هنا ، ثم يسافر بهن إلى بريطانيا ، وحدثني عن حفلة كبيرة في باريس قد أكون احد نجومها .. حفل رقص عالمي وقد تذهبين معنا ميرا وممكن كاترين كما قال توم

قالت تمارا : وأنا !

ـ لم يذكر اسمك أنت .. كبرت يا أمي لم يعد رقصك يثير الجمهور

تناولت كوب الشراب وقالت : لا انكر انني كبرت .. المهم كاترينا اعتذري لرايكس الليلة عني

قالت ميرا : أين أبي ؟

ـ أخذه سامي لرؤية والده الدكتور سيد عدنان .. أبوه كبير في السن لا يخرج من البيت كما قال سامي .. سامي طبيب وأبوه طبيب .. وكان أبوكم يدرس الطب في بلغراد .. لولا هربي إلى لندن وقد لحق بي وتزوجنا .. أتراسلين صديقك ميرا ؟

ردت ميرا بضيق : على الخفيف .. ابتعد عني قبل مجيئنا هذه البلاد

ـ للأسف .. لا صديق دائم في تلك البلاد

قالت كاترينا ساخرة : ولا صديقة دائمة يا أمي .. كل يبحث عن هواه .. هل مازال فريديتش يتصل بك ؟

ـ نعم ، ما زال .. هو من جيل أمير عرفته أيام كلية الفنون في بلغراد وهاجر إلى فرنسا قبل أن أراه في لندن .. عرفته صديقا ومحبا قبل أمير .

قالت الكسندرا : كان يحدثنا انه كان يحلم بالزواج منك

ـ هذا كان قبل معرفتي بأمير .. كان معي في الكلية والحزب كنت احب السياسة أيام الجامعة

قالت كاترينا : رقص وسياسة كيف كان ذلك؟

ـ درست أشكالا عدة من الفن .. منها الرقص واحترفته في لندن من اجل العمل والمال .. فالنوادي والمراقص تحتاج لمثل هذه الوظيفة .. واهل لندن يحبون رقص بلاد أوروبا الشرقية كما كان يشاع وكذلك الرقص الروسي .. لندن بلد رقص كل دول العالم .. الكل يظهر مواهبه

قالت ميرا : رغم بساطته فهو ممل

قالت كاترينا : كل مهنة فيها مملل .. المدرس يمل .. تأتي عليّ ساعات لا احب تدريس أي شيء عن فن الرقص الإيطالي أو الإنجليزي .. وكم ركبت مع سائقي الأجرة وهم يكرهون مهنتهم الملل مرض لكل وظيفة

قالت تمارا : كلام صحيح ! فالفتور والملل طبيعة في الإنسان

***

توقفت سيارة الأجرة أمام عمارة مؤمن ١ ونزل منها شاب وابتسم للحارس فعرفه الحارس انه رفيق نزيلة الشقة ١٣ الطابق ٤ فرد التحية ، وانصرفت السيارة وصعد توم بالمصعد إلى الشقة ، وفتح الباب وقالت الكسندرا : أهلا توم وقبلها . ودخل الغرفة أو الشقة فوجد الأسرة كلها ما عدا السيد أمير فبعد مصافحة الجميع سأل عنه فقيل له انه في زيارة لأخيه منذ الظهر ، بعد قليل أحضرت الكسندرا الشراب والأكواب الصغيرة .

فقالت تمارا : جئت من بريطانيا لتصور هنا

ـ أنا كنت متفقا مع الكسندرا من قبل رحيلكم .. أحبت أن اشركها بفيلم فوعدتها بذلك

قالت الكسندرا : هل وجدت فريق تصوير محلي؟

ـ وجدت من قبل المجيء لهذا البلد .. وسيكون التصوير في نادي ليلي فرنسي ، اتفقت مع قائده فقبل الرجل إجراء مشاهد التصوير في النهار .. وسيكون هناك تصوير ليلي بدونك لرواد المطعم والمرقص الفرنسي ..

قالت تمارا : لماذا يرفض التصوير الليلي ؟

قال مجيبا : خشية رفض الحضور تصويرهم مع راقصة بدون مقدمات وعلم وخشية الفوضى

قالت ميرا : وجهة نظر

نهض توم المخرج قائلا : سنسهر أنا والكسندرا أراكم على خير

قالت تمارا : أين ؟

قال ضاحكا : في نادي على البحر نادي فور مون (القمر ٤)

قالت كاترينا : ستعودان الغد ؟

قال : مع الصباح باي باي (سلام سلام)

***

لما وصلت باب العمارة قالت الكسندرا : مرحبا أيوب

ـ أهلا بالآنسة الكسندرا

ـ كيف أنت ؟ وكيف نعيم؟

ـ بخير

فقال توم : من نعيم ؟

ضحكت وردت : مدير هذه العمارة والتي تقابلها ـ وأشارت للجهة المقابلة ـ منسق أعمال الإيجار والصيانة

وتوقفت لهما سيارة تعبر الشارع بزبون فقالت : نريد الوصول للبحر فندق فور مون

ـ بعيد (قال السائق)

قالت : نعرف مسموح لك الوصول إلى هناك

ـ اركبوا المخالفة بسيطة

صعدوا إلى المقعد الخلفي فقال نعيم لأيوب : بماذا حدثتك؟

ـ تسلم عليك كالعادة عندها سهرة في فندق بحري فور مون

قال نعيم : حفلة رقص هناك الليلة

ـ هكذا فهمت منها ومن هذا الذي معها؟

ـ ظهرا أتى معها .. وها هو عاد لأخذها للسهرة .. قد يكون منسق أعمالها وحفلاتها

ـ والله ممكن يا نعيم !

***

عرض زواج

أوقف الطبيب سامي سيارته أمام العمارة مؤمن ١ وطلب من الحارس مساعدته بإنزال عمه أمير من السيارة فقام الحارس بفعل ذلك ، وأخرجت عجلة الإعاقة من صندوق السيارة الخلفي واقعد فيها ، وقدم سامي الشكر للحارس ، ودخل العمارة صاعدا بعمه إلى شقته ، وقبل أن يفتح الباب بمفتاحه الخاص به فتح الباب من قبل تمارا التي اعتذرت عن العمل الليلة فتفاجأ الرجل بوجودها ودخل أمير يدفعه الدكتور ، ثم انتقل لاحد مقاعد الصالة المريحة وأشار لسامي بالجلوس الذي كانت ترحب به تمارا وقالت : اجلس سامي سأعمل لكم الشاي وأتكلم معك كم كلمة .



فجلس واشعل سيجارة وعمه يقول : يبدو أن تمارا مجازة تستريح الليلة .. الرقص متعب يا سامي ؛ ليس كما يظن الناس انه مريح ورياضة ولياقة

ـ كل شيء متعب يا عمي حتى القعود على الكراسي .. السائق الذي يشتغل على سيارته يتعب ويشكو من الديسك وغيره

جاءت المرأة تحمل الشاي والكاسات ووضعتها على طاولة الصالون وقالت : أهلا بحضرة الطبيب ابن الطبيب

ـ أهلا امرأة عمي

سكبت الشاي ووضعت كوبا أمام سامي وآخر أمام زوجها فقالت : أهلا أهلا بالشباب .. عمك اخبرني أنك هذه الأيام تارك لزوجتك .. هل من سبب ؟ وهل لديك أطفال منها ؟

ضحك وقال : خبر صحيح لي سنة أو اكثر .. لم نوفق كثيرا في حياتنا الخاصة

ـ عمك عنده ثلاث بنات بصراحة ..خذ المناسبة لك منهن

ـ بنات عمي على عيني وراسي يا امرأة عمي ! بس طبيعة عملهن لا تتناسب مع حياتي .. أنا حدثني عمي بذلك .. أنا افتح العيادة التاسعة صباحا حتى المغرب وأعود للبيت قد اسهر قليلا

أو استقبل زوارا .. أما بنات العم فعملهن في الليل ولا أظن أن واحدة ترغب بترك العمل أو البحث عن غيره

قالت متفهمة وجهة نظره : وجهة نظر صحيحة .. نحن اهم وقت لشغلنا أنصاف الليل .. أنت لا تحب السمر لمثل هذا الوقت

ـ هذه المهن اغلب الناس مع حبهم للرقص والطرب لا يقبلونها كمصدر رزق لبناتهم ..

ـ أنت صريح

ـ ها هو عمي لما يلتق بأحد الكبار من العيلة يصفه وينعته بزوج الرقاصة فيسكت عمي ؛ ليس كل مهنة مقبولة لدى الناس حتى لو كانوا منحرفين وفاسدين .. كل مجتمع له تقاليده .. الناس لا تقبل أن يعمل مسلم في خمارة أو ملهى ليلي مع انه سكير

قالت : كلام مقبول .. أنا ظننتك مثل عمك عندك انفتاح على هذه الأمور

ـ عمي لأنه عاش في بريطانيا والناس تحترف مثل هذه المهن دون غضاضة أو تعيير .. وانا فعلا بحاجة لزوجة

ـ لماذا انفصلتم عن بعض ؟

ـ لا تعجبها حياتي الهادئة ولعدم مشاركتي لسهراتها مع أهلها وصويحباتها يوم عند هذه وآخر عند تلك وأشياء أخرى

قالت : أنا الليلة اعتذرت .. ليلة امس تعبت وفركت قدمي حتى خلتها انكسرت

***

لما عادت الكسندرا من رحلة فندق البحر ، أخذت تستعد للتصوير في ملهى للجالية الفرنسية والغربية ، وقامت بعمل البروفات وخلال أيام تم تصوير استعراضها بالرقص ، ثم كمل التصوير الليلي للناس في المرقص حسب الاتفاق مع مدير المرقص ، ثم أخبرتهم بعد سفر توم للندن أن السفر لباريس لإحياء حفلة راقصة والمشاركة في مهرجان رقص عالمي قريبا ، وتقرر بينهم بقاء كاترينا عند أبيها ولإحياء العزف في فندق العمل ؛ لوجود مؤتمر عربي بحضور وزراء

في ضيافة الفندق ذو النجوم الخمسة فالفندق مضطر لبقائها وهي والعازفة الصينية .
نقلت الكسندرا وأمها وميرا سيارة للمطار في منتصف النهار ، سيكون السفر غير مباشر لبيروت أولا ، ثم من بيروت لمطار ديجول الدولي في فرنسا .
وكانت الأسرة ستقضي أسبوعا في باريس التي يدعونها عاصمة النور في زعمهم ، وفي اليوم الثالث خرجت تمارا مع رفيق كما قالت لبناتها عندما نزلت لقاعة الاستقبال في الفندق ، ومضى الليل ولم تحضر الأم مما ادهش الكسندرا وميرا ، واخبر الفندق أنها لم تتصل بالإدارة ، ومضى اليوم الثاني للاختفاء مما زاد الإزعاج والقلق لدى البنتين ، وهن لم يعرفن مع من خرجت ذاك النهار فقالت ميرا : ما الذي حدث لها ؟ هل نتصل بالشرطة ؟
ـ الشرطة لن تفعل شيئا سيقولون امرأة بالغة عاقلة لعلها مع عشيق
ـ لم اسمع عن عشيق منذ تركنا لندن ما العمل؟
ـ هل نعود بدونها ؟
ـ الحجز سبع ليال ..
بعد فترة صمت قالت ميرا : اتصلي بصديقك توم ؛ لعله يساعدنا لابد أن له أصدقاء وزملاء هنا
ـ افكر بذلك .. أين سأتصل به هو لا يعود للشقة إلا آخر الليل ؟
ـ وانا سأخبر امن الفندق
ـ تكلمت معهم فلا شيء عندهم ، ولم يخبر مستشفى عنها بحادث
قالت ميرا : لابد أن شيئا ما أصابها ليتها أخبرتنا مع من خرجت
ـ لم تحدثنا بذلك فرأيت ألا أسال .
جرى اتصال بلندن بتوم ووعد بالمساعدة ، ورجح انها مع صديق ، واستغلت وجودها في باريس ، ولن يسبب لها زوجها أي إزعاج كما كان يحصل قبل عودتهم لوطن أمير ، بعد يوم اخبرهم توم أن الشرطة الفرنسية لم تخبر بحادث للراقصة تمارا ، ولم تخرج من البلاد حسب

المطارات والحدود البرية والبحرية .. فترجح لهن أنها مع عشيق ولكن من هو ؟

***

لما انتهت الإقامة عدن لشارع سيدو عدنان وصحبن ساميا ليخبر عمه بضياع أمهن أثناء عملهن في باريس أثناء مهرجان الرقص ، وأصاب الزوج صدمة من غياب أمهن بدون أن تترك لهن إشارة وصرخ وصاح ؛ كأنه ينفخ في رماد حتى أن كاترينا صاحت فيه : لماذا كل هذا الصراخ كأننا نحن اللواتي أخفيناها ؟ نحن لا دخل لنا بينكم حتى لو هربت لا دخل لنا يا سامي .. يكفي أننا قبلنا العودة معك شفقة عليك اذا ظللت تعوي وتعوي سأهرب وأنسى انك أبي

قال سامي: دعونا نفكر بهدوء ولتصبر يا عمي لو حدث لها ضرر لبلغ ذلك البوليس.. يظهر أن هناك اتفاقا خفيا لحشر نفسها في رحلة باريس .. فاستغلت رحلة ومهرجان الرقص للقاء معارفها .. وأنت يا عم لا تنسى أنك عاجز وضعيف عن معاشرتها .. فمن الطبيعي أنها ستغازل الرجال .. لا تضع رأسك في التراب كالنعام .. فالأنثى أنثى .. أنا صريح لا تحدثني عن الحب والوفاء

قالت ميرا بإعجاب : الطبيب يتكلم بحكمة يا أبي .. لا تنسى أننا عشنا في أوروبا وعاداتنا ولبسنا مثلهم فلا داعي للغيرة ؛ كما قال الطبيب الفهمان .. اذا أنت في موضع غيرة فطلقها

قال كاترينا : هذا الكلام المناسب والمقبول وكما قال ابن أخيك فهي امرأة ولها رغباتها

كان الرجل يستوعب الملاحظات والإشارات وقال : أنا اعرف أنها عاهرة منذ شللت وقبل الشلل كانت تزني من ورائي باسم رحلة عمل باسم زيارة صديقة باسم إحياء حفلة

قال سامي : إذن لا داعي للتظاهر بالغيرة والشرف .. هذا اختيارك يا عمي فعليك كما قالت ميرا بالطلاق والانفصال بالاتفاق

ـ والبنات !

ـ هل لك سلطة عليهن ؟ أنا أتكلم أمامهن ؟ يعني ذاك المخرج معذرة يا الكسندرا جاء وأخذها للبحر للفرجة على البحر .. فلا يجب أن نبدو أغبياء يا عمي .. الصديق جاء للرغبة والحب

نظرت اليه الكسندرا وقالت : يا لك من وقح !

ـ عندما تذهب فتاة عزباء مع صديق لقضاء ليلة في الفندق هل لتسبح بالماء ؟ .. عمي يعرف ذلك وأخواتك يعرفن لماذا حضر توم لصحبتك ؟

قالت كاترينا : سامي محق يا الكسندرا ومحق لا يجب أن نتضايق من الصراحة .. فهو نفسه اعترف لي برغبته وشوقه الكبير لك .. توم شجاع

قالت الكسندرا : حتى لو صح تخمينكم يجب عدم الكلام بصراحة أمام أبي

قال أمير : أنتن بنات لندن .. وأنت عمرك فوق الثلاثين سنة يا الكسندرا ولليوم بدون زواج هل تظننين أن اصدق انك لم تنامي مع رجال ؟ لكني قبلت العيش في الغرب .. عليّ أن اقبل بأي تصرف منكن .. لكن أمّكن اذا كانت ترغب بالطلاق يجب أن تصارحني بذلك .. لا أن تجعلني قوادا لها وغطاء ولماذا قبلت بالعودة للوطن ؟

قالت الكسندرا : نحن من اجل خاطرك قبلنا بالرحيل .. فالرقص نفعله هناك وهنا .. قلنا نتحمل لأننا نحن سببنا لك الحادث ومقتل فوك

قالت كاترينا : نعم هذا السبب يا عم سامي !

قال سامي : أنا ادركت ذلك من أول لقاء بيننا

قال الأب مستسلما : أشكركن وامتن لكم .. فاعلموا أن خيانة أمكم لم تكن بعد مرضي ومقتل أخيكن .. خنا بعضنا قبل ذلك ، وكان يجب علينا الشراكة والاستمرار في العمل .. وامكن هي التي اختارت لكن العمل بما تعملن .. أنا متأكد أنها ستعود مثل الكلبة ؛ ليس حبا بي ولا بكن ولكن لتستمر حياتنا البائسة والبقاء في المستنقع .. بعد المضايقات التي تعرضنا لها بعد الحادث رأيت أن نعود لموطني حلا للمعاناة التي حلت بنا .. لن اطلب منكن أن تصبحن ملائكة بعد حياة فاسدة في لندن ..

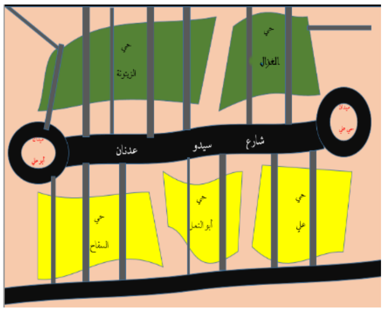
قال سامي وهو ينهض : اسمحوا لي بالانصراف ولا داعي للتظاهر بأننا ملائكة كما قال عمي فكل له حياته .. كانت امكن قبل هربها تطلب أن أتزوج إحداكن لأنني منفصل عن زوجتي

فقلت لها ولعمي من قبل .. عادات وتقاليد المجتمع العربي الشرقي تختلف عن عادات الإنجليز فالناس لا تتقبل حياة الغناء والرقص كما يتقبلها الغرب .. فنحن الخمار ننظر اليه باحتقار مع أن الكثير من الناس يشربون الخمر والكحول دون حياء .. أنا في خدمتكن مهما حدث من تشوهات

قالت كاترينا : أنت رجل رائع يا سامي رغم ما قلت من كلام حاد

***

رن جرس الهاتف في الشقة فردت الكسندرا ثم التفت لميرا : صديق النادي يرغب بالكلام معك



نهضت الراقصة ميرا وقالت باسمة وتقول لنفسها لا صديق لي : لعله نونو

تناولت السماعة من يد أختها وقالت : آلو من ؟

ـ مرحبا ميرا أنا على باب العمارة كما اتفقنا سأوصلك للنادي

قالت : أنا متعبة الليلة يا نبيل .. في البيت مشكلة سأحدثك عنها لاحقا قل للمدير رايكس ذلك ؛ لعلنا نلتقي في جو افضل سأتكلم مع المدير

ـ ما الأمر ؟

ـ الأمر يا صديقي أن أمي فقدت في باريس .. ونحن منشغلون في ضياعها رجعنا بدونها

ـ امك اختفت هل خطفت ؟

ـ لا ندري عدنا بدونها والبوليس الفرنسي يبحث عنها ..اخبر رايكس بذلك

ـ هل باستطاعتي المساعدة ؟

ضحكت في سرها وقالت : ماذا ستفعل؟ امرأة اختفت في مدينة بحجم باريس .. أراك على خير.

ووضعت السماعة قائلة : لقد أخبرت المدير بالقصة واعتذرنا عن الشغل لعدة أيام ويبعث لي

شابا من الفندق .. يبدو أن رايكس لا يفهم كلامنا بسهولة !
قالت كاترينا : هؤلاء الناس يهمهم استمرار العمل ، ولا يهتمون لمصائب الناس .. لا ادري لماذا اخفت مكان وجهتها عنكن ؟ .. هي تفكرنا ما زلنا طفلات ولا نفهم بمثل هذه الرغبات
قال أمير : عندما ترجع بالسلامة سنتفق على الانفصال ، واذهبن معها لبريطانيا سأستعين بخادم على قضاء حوائجي فلا داعي لاستمرار هذه الحياة المزيفة
قالت الكسندرا رافضة الفكرة : أنت عصبي يا أبي لا يحتملك الخادم مثلنا .. ويصعب علينا التخلي عنك وأنت بكل هذا العجز
قال دامعا : كلامك النبيل يسعد القلب ؛ ولكن لكن حياتكن الخاصة.. فأنتن تحتجن لزواج وأطفال
قالت ميرا معترضة : كل شيء يا أبي بأوانه .. نحن الثلاثة لم تتزوج واحدة منا لحتى الآن فلو قصرت تمارا فنحن بناتك واخترنا البقاء معك حتى النهاية .. نعلم كما صدمك موت فوك وإصابتك القاتلة
قال فرحا : أنا مقر بفضلكن وحبكن لي .. حتى لو ابتعدتن عني سأبقى محبا لكن.. الكلام الطيب الحسن بلسم للجراح
قالت كاترينا : أنت حبيبنا ولو انفصلت عن أمنا سنختارك أنت .. الشغل شغل يا أبي هنا أو هناك .. تعمل معي فتاة جاءت من الصين لتعزف في الفندق للزبائن .. ولولا انك لا تحتمل السهر لأخذتك كلية ليلة معي
ـ أشكرك ما أنت تعزفين لي هنا

***

كانت كاترينا تعزف ذات ليلة بعد امتصاص صدمة هرب أمها فأحست وشعرت بفقدان السيطرة على البيانو الكبير ، وسقطت على الأرض فاقدة الوعي ، وتوقف العزف بدون سابق إنذار وقاموا بالإسعافات الأولية حتى حضرت سيارة الإسعاف وتعطلت السهرة حتى

خرجت سيارة الإسعاف ، وقد تركت ميرا الرقص وذهبت مع أختها للمستشفى ، وتم ايقظاها من فقدان الوعي ، ثم بين الأطباء أنها تعاني من مرض غامض تحتاج لمتابعة ودراسة سيرتها المرضية ، وتم بقاؤها في المستشفى لفهم ما حدث معها ، وبعد يومين أو ثلاث قرر فريق المتابعة أنها ربما مصابة بمرض متلازمة اليد الغريبة حيث تعمل كل يد بمفردها .

***

متلازمة اليد الغريبة هي حالة عصبية نادرة تجعل إحدى اليدين تتصرف بشكل مستقل عن إرادة الشخص ، وكأنها تملك عقلاً خاصاً بها قد يقوم الشخص المصاب بها بحركات لا إرادية بيده ، مثل رفعها في الهواء ، أو الإمساك بأشياء ثم رفض تركها ، أو حتى إلغاء حركات قام بها للتو . . هذه الحالة قد تكون مرعبة للشخص المصاب ، حيث يشعر بفقدان السيطرة على جزء من جسده .. يعتقد أن المتلازمة هذه قد تحدث بسبب خلل في التواصل بين نصفي الدماغ خاصةً بين الفصوص الجبهية والجدارية .. اليد المصابة تقوم بحركات لا إرادية ، قد تكون بسيطة أو معقدة ، دون تحكم من الشخص.. يشعر الشخص المصاب بفقدان السيطرة على حركة اليد المصابة ، وقد تبدو له كأنها منفصلة عنه. قد يشعر الشخص المصاب بمشاعر غريبة تجاه اليد المصابة ، مثل الغربة أو الانفصال عنها.. قد تقوم اليد المصابة بإلغاء حركات قامت بها اليد الأخرى ، أو تتداخل معها. يمكن أن تحدث متلازمة اليد الغريبة نتيجة لإصابات في الدماغ ، مثل السكتات الدماغية ، أو الأورام، أو بعد بعض أنواع جراحات الدماغ ..قد ترتبط المتلازمة بحالات أخرى مثل مرض هنتنغتون، أو تصلب الشرايين ، أو حتى بعض أنواع العدوى، قد يصف الطبيب أدوية للسيطرة على الأعراض، مثل البوتوكس أو أدوية أخرى .. قد يساعد العلاج الطبيعي في تحسين حركة اليد وتعزيز التنسيق . . قد يساعد العلاج السلوكي في تعلم طرق للتعامل مع الحركات اللاإرادية والتغلب على المشاعر المرتبطة بالمتلازمة .. في بعض الحالات، قد تكون هناك حاجة لإجراء جراحة لعلاج الأسباب الكامنة وراء المتلازمة .

متلازمة اليد الغريبة هي حالة نادرة، وقد تختلف الأعراض والنتائج من شخص لآخر .

خرجت الفتاة من المستشفى للشقة وهي في حالة إرهاق وصدمة ، ولا تدري تفاصيل الأزمة الصحية التي ألمت بها أثناء العزف ، وحاول سامي شرح وتلخيص ما صارحه به الأطباء من اشتباههم بأنها مصابة بذلك المرض الغامض ، وستتعرض لجلسات علاج طبيعي في البيت حتى يتضح المرض بشكل صحيح وواضح ، وارسل لها سامي شابا يعمل في العلاج الطبيعي في احد المستشفيات اسمه مملوك حسني ، وسيكون عمله بعد غروب الشمس قبل خروجها للعمل ويوما بعد آخر لمدة اربع أسابيع ، وخلالها ستأخذ المزيد من الصور الدماغية والأعصاب ، وكان سامي أحيانا يرافق الشاب مملوك أثناء حصة العلاج التي لا تستغرق وقتا طويلا اقل من نصف ساعة في الجلسة الواحدة .

بعد مضي أسبوعان قال سامي مخاطبا مملوك : هل من تحسن ؟

ـ لا اشعر أنها مريضة .. تتجاوب بشكل طبيعي مع العلاج سواء الصعق أم التدليك أنا لا افهم هذا المرض الذي بينته لي

ضحك سامي وقال : ولا أنا .. قد يكون بسبب الضغط كل ليلة على الأعصاب وآلة البيانو أو الاورج هي عازفة .. وظيفتها في هذه الحياة العزف لمدة ساعتين يوميا لا تتوقف إلا دقائق بين كل شوط أو جولة

ـ هو إرهاق تراكم مع السنين .. هل أضاف الأطباء شيئا جديدا ؟

ـ الأطباء لا يعرفون شيئا كثيرا عنه .. فهذا اذا صح تشخيصهم بأنه مرض غامض ولا علاج له ككثير من أمراض الأعصاب الغامضة .. هم يعرفونها من أعراضها فقط .. والأدوية مسكنات ومهدئات

ـ هي عزباء كما قالت لي

ـ كل بنات عمي عزباوات ولسن عذروات هن انجليزيات من أب عربي وهو عمي .. فهؤلاء الإنجليز يتزوجون في سن بعد الثلاثين

ـ لكنها جميلة ! لا ادري لماذا يؤخرون الزواج مع أننا نسمع أنهن يمارسن الحب من سن مبكرة

ـ يكرهون الولادة والحمل والرضاعة المبكرة .. اعزب أنت ؟

ـ لست اعزبا لكني مثلك مطلق

ـ اذا تحب الجنسية الإنجليزية تزوجها ..عمي لا يمانع ؛ لكن المشكلة عند البنت .. عمي عرض عليّ الزواج منهن ؛ ولكني لم استسغ عملن في الرقص والعزف ؛ ولكنها ربما بعد المرض الغريب تترك هذه الوظيفة

ـ يستحق العرض التفكير .. هذا كلامك أنت وليس كلام عمك وهي

ـ يمكنك أن تقول أنا المسؤول عنهن بسبب شلل عمي منذ رجوعهم من لندن

وروى له باختصار حياة عمه وبناته

***

انصرف مملوك مودعا سامي وقال بعد انصرافه عندما جلس معهن : يرغب بالزواج فهو مطلق مثلي يبدو انه معجب بك يا كاترينا فرغبته فيك

ضحكت كاترينا : وما الذي اعجبه فيّ يا ابن عمي ؟

قال مجيبا : الإعجاب والميل امر خاص لا اعرف له تفسيرا .. فقلت له بعض الأمور عنكن فقال مؤدبا الأمر يعود لك ولعمي

فقال العم : لا احد يكره زواج بناته يا دكتور سامي .. هل قلت إنهن بنات إنجلترا وعربيتهن ثقيلة جدا بعض كلمات لا اكثر

ـ اعتقد من اجل ذلك فتح الكلام معي أنا حول الزواج ، فقلت له اذا كنت ترغب بإنجليزية فهن إنجليزيات إلى حد كبير .. فاذا أعاد الحديث معي سأزيده من المعلومات .. أنا عرفته من سنوات أيضا بسب معالجة طبيعية لمريض عالجته .. فاذا كنت ترغبين بالزواج فسوف اشجعه

قالت كاترينا : ولماذا طلق زوجته ؟ أتعرف السبب ؟

قال : حقيقة لا اعرفه بالتفصيل اعرف بالعموم قد يكون ما اعرفه صحيح أو غير صحيح هو

مجرد معرفة ومعالج طبيعي قال لي مرة بكلام عارض مشاكل مع أهلها وأهلي .. أهلها لم يعجبهم اختياري وأهلي لم يعجبهم اختيارها .. فكان الحل الانفصال هو عرفها أثناء الدراسة والجامعة

قالت الكسندرا : الأهل غالبا لا يعجبهم اختيار الأبناء والبنات

قالت ميرا : بقي اسبوعان لمهمته عندنا يا كاترينا

قال سامي : ينتهي الاتفاق آخر الأسبوع الرابع

***

مر سامي بعد نزوله على مكتب الإدارة مبلغا عن مشكلة بسيطة في الشقة احدى منافذ الماء تسرب الماء فقال المهندس : نعم قالت لنا الكسندرا ذلك قبل مجيئك مع المعالج كما ذكرت لي مرة

ـ الكسندرا تحسن العربية اكثر من أخواتها لها أصدقاء في لندن من الجالية العربية

ـ كيف العلاج معها مع كاترينا ؟

ـ هو يقول لا يوجد بها شيء .. هو المرض غريب وغامض .. سعيت لإقناعه بالزواج منها .. فهو مطلق مثلي

قال نعيم : هل يبحثن عن أزواج يا دكتور سامي ؟

ـ إلى حد ما هي رغبة والدهن اكثر منهن

ـ وما زالت امرأته مفقودة

ـ بيني وبينكم هي صحيح في نظرنا مفقودة .. اعتقد وحتى عمي أنها هربت مع عشيق أثناء وجودها في باريس .. هؤلاء الأجانب لا شرف ولا كرامة عندهم لنقول في مقياسنا العرب .. هو الزواج عندهم زواج مدني ؛ وليس زواج ديني وعقدي .. ملت من عجز ديكها وسوف تعود أنا متيقن من ذلك

قال المهندس : والله أنت صريح جدا يا دكتور سامي مع أنهن أقارب لك

ـ أسوأ أسرة مرت عليّ ؛ ولكنهم إنجليز ولدوا هناك وكبروا هناك

***

قبل أن تغادر الكسندرا الفندق بعد انتهاء حفلتها الليلية ، وقد لبست ملابس الخروج وتنتظر كاترينا وميرا قال لها مدير الصالة رايكس : جاءت رسالة من لندن

قالت : لي من توم المخرج

ـ لا من تمارا

ـ أمي

ـ نعم أمك

ـ هي في لندن

ـ في اكثر من عاصمة فهمت منها ، وانتهت بلندن

ـ هل تكلمت بشيء خاص ؟

ـ ستتصل بك اذا انتظرت للساعة الرابعة هنا

ـ يوجد في البيت تلفون ..ألم تقل ماذا تريد؟

ـ لم تقل إلا أنها الآن في لندن وتريد الحديث معك بعيدا عن البيت ، لا ترغب بالحديث مع زوجها أو أمامه

تنهدت طويلا وقالت بقهر : سأنتظر قل لنبيل ذلك

ـ ذهب لتوصيل ضيف ولم يرجع بعد .. اذهبن لصالة الطعام الخاصة بموظفي الفندق وكلن شيئا واشربن الشاي أو ما شئتن .

ولما جاءت الأختان قالت ميرا : أين نونو ؟

ـ ذهب لتوصيل ضيف.. علينا أن نذهب لصالة طعام موظفي الفندق وننتظر ساعتين ؛ لأن أمكم اتصلت برايكس وترغب بالحكي معي

قالت كاترينا بدهشة : اتصلت هنا؟

ـ اتصلت برايكس على أنها قامت في جولة في أوروبا واستقر بها المقام في لندن وترغب بالحديث معي أو معنا

قالت ميرا بحدة : تريد معرفة رد فعل أبي على طيشها .. تحدثن عن الطلاق وإنهاء هذا الفسق والعهر ولتتزوج احد عشاقها الذين لا نعرف عددهم

صاحت الكسندرا : أوه لهذا الحد تكرهين امك ؟

ـ لا اكرهها ، لم تعد تحبه وتطيقه فلتتركه بسلام ، ولا داعي لتنغيص حياته وسم بدنه

قالت كاترينا : معها حق يا الكسندرا .. هل تنسين إختفاءات لندن بعد شلل أبينا ؟

قالت الكسندرا مبررة : هي لا تريد تركه للعشرة الطويلة بينهم من قبل هربها للندن من بطش تيتو الكرواتي اليوغسلافي

ميرا : أي عشرة وهي تنام في أحضان معارفها .. فأبي مسكين استسلم لهواها وذكرياتها

***

عند الرابعة صباحا رن هاتف يطلب الحديث مع الكسندرا وكان فعلا من تمارا بعد السؤال عن الحال والأحوال قالت لها : كيف حال أبيكن؟

ـ في غاية الجنون والعصبية .. لماذا هربت منا في باريس ؟

ـ خشيت اعتراضكن على تصرفاتي

قالت بسخط : استمتعت مع عشاقك

ـ إلى حد ما ..ثم قالت غامزة : ما أخبار توم علمت انه يبحث عني ؟

ـ لم اره منذ ذلك اللقاء ، وانا كلفته بالبحث عنك عندما هربت منا في باريس ..تقول ميرا : لماذا لا تنفصلي عنه بالحسنى بدل أن تنهش الغيرة بدنه

ـ أبوك لا يغار .. لنا حياتنا الخاصة من قبل مرضه .. لو لا شلله لانفصلنا ؛ لكني مشفقة عليكن ومن أجلكن .. هو كان عاجزا قبل الحادث .. لي نزواتي وكانت له نزواته

ـ الانفصال إذن مناسب ولندع التمثيل على بعض .. متى العودة ؟

ـ لا اعرف متى ؟

ـ ولماذا تأخر الاتصال ؟

ـ كنت أعيش في جزيرة إسبانية

ـ لا توجد فيها تلفونات

ـ انتن طيبات المهم

ـ كاترينا مرضت مرضا غامضا لليوم لا نعرف ما هو بالضبط . . وخف نشاطها وقد تتزوج شابا عربيا وهي طبعا بجواري وميرا ويسمعن ما قلت لك

ـ عربي !والعودة للندن

ـ لا ادري . . ولندن مليئة بالعرب وكل أجناس الدنيا

ـ سأعود اذا حصل زواج . . وسأرتب مع محامينا هنا قصة الطلاق ما دام أبوكن يرحب بذلك

***

كالعادة استقبلهن الوالد بالسخط والولولة على تأخرهن في العودة ، فهو يقضي الليل في الانتظار ومعاقرة الخمر ربما يغفو ويستيقظ ثم يعود للغفوة ، فروت له الكسندرا سبب التأخير . فقال ساخطا وصارخا : أخيرا اتصلت العاهرة . . لا ادري كيف كيف النوم مع عجوز ؟

قالت ميرا : هناك من يعشق كبيرات السن ؟

قال : لم ؟

فسرت ضاحكة : هن يدفعن بدل أن يدفع هو ؟

ـ انتن اعرفن بأمكن اكثر مني

قالت كاترينا مبينة : القضية لا تحتاج لمعرفة ؛ كما تأكل الناس تحتاج لقضاء شهواتها من الجنس الآخر . . وهل كل من يحضر سهرات النوادي يحضرون للمرح والكيف ؟

قالت الكسندرا : عليك يا أبي بالطلاق وكفى ضحكا على بعض . .

قال مستسلما : كان يجب أن يحدث ذلك قبل الرجوع ؛ ولكنني املت أن تغير أفكارها ونقضي

ما تبقى في فراش واحد

قالت ميرا بحزن لنفسها : مسكين أبي ما زال يحلم في فراش واحد وهو ينام في غرفة وهي تنام في غرفة أين الفراش الواحد؟! ..كيف هي حياتنا بهذا البشع والسقم؟!

قالت كاترينا : لم تخبر بالعودة يا أبي زعمت أنها كانت في إسبانيا اكثر هذا الغياب

قال: إسبانيا إسبانيا نعم اذكر أنها لها صديق رسام يعيش في احدى جزر إسبانيا .. إسبانيا .. لابد أخيرا من الطلاق الرسمي .. كيف سيكون؟

ـ هي ناقشت المسألة مع المحامي محاميكم القديم قبل تأجير النادي .. فحدث ساميا باختيار محاميا دوليا يعيش هنا

قال : سأكلم أخي وابنه ساميا صديقنا لإنهاء حياتي الزوجية رسميا وقانونيا

وبعد صمت طويل قال : هل تحدث معك مملوك ؟

ـ الشاب جيد وعملي وقرار الزواج من عربي يحتاج لفترة ومشكلتي ضعيفة بلغتك الأصلية يا أبي .. إنني فعلا بدأت افكر بالزواج وسأغير طبيعة العمل

قالت ميرا : ماذا ستعملين ؟

ـ سأعمل يا حبيبتي بتدريس الموسيقى في معاهد الموسيقى وكليات الموسيقى .. قليل من المذاكرة سأتذكرها فزواج وحفلات فنادق لا يكون لائقا كما قال سامي

قالت الكسندرا : تفكير جيد ! حتى الرقص له معاهد ومراقص كما تعلمنا على أيديهم وقد يعمل الشخص في مهنة بعيدة عن هذا الفن .. يبدو انه حان موعد بحثنا عن الزواج .. فميرا سائقنا نبيل يرغب فيها زوجة وصارحها بذلك

قهقهت ميرا وقالت : ولكنه غير مناسب لي .. شاب يعمل سائقا يكون زوجا لي .. انه لا يحمل أي شهادة إلا شهادة سائق سيارة فندق .. لا اعتقد انه زواج متكافئ يا أبي

قال : صحيح هذا زواج رغبة عابرة ولما تخف سيغير .. فسامي سأطلب منه أن يجد من يليق بكن ما دمتن تفكرن بتغيير نمط حياتكن وساعات عملكن

كانت الكسندرا تبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاما ، ولم تتزوج ؛ إنما كانت تعيش كأي فتاة أوروبية علاقات عابرة وصداقات جنسية قصيرة ، هكذا ربتها الأسرة الفاسدة ، فقالت ميرا



ابنة الخمس والعشرين سنة ذات مساء : لماذا لم تتزوجي توم وهو صديقك من سنوات ؟

ضحكت كاترينا ابنة الثامنة والعشرين : توم متزوج يا ميرو

قالت ميرا : إذن هو يخون زوجته معك يا الهي !

ضحكت الكسندرا : وهي تخونه .. زوجته ممثلة بريطانية ذهبت أمريكا لعرض مسرحيات مع احد المخرجين ولم تعد .. هو عرفني عن طريق امك تمارا ومن خلال نادينا ومطعمنا .. وبدأت صداقتنا كأي صداقة بين رجل وامرأة ثم تقدمت الصداقة إلى علاقات عابرة وما زالت حتى اليوم.. أما زواجنا فلن يحصل ما دامت تلك ترفض الطلاق

قالت ميرو : وهل هذه حياة ؟! وأنت كاترينا هل تتطورت الأمور بينك وبين مملوك ؟

قالت : الشاب كما قال سامي يريد ذلك فعلا .. واخشى انه يريد ذلك شفقة وليس بحب وحياة مستقرة ..وأيضا سأذهب لباريس للعلاج ليدي الغريبة التي تنهار وتضعف مع الضرب على الآلات الموسيقية لدي مشكلة صحية

قالت الكسندرا : فعلا مرضك غريب وعجيب لم يقل أطباء البلد شيئا مهما

ـ هم رجحوا أن يكون مرض متلازمة اليد الغريبة ومثل هذه الأمراض يقول سامي إن صح التشخيص صعبة العلاج وربما لا علاج لها وعلى المرء التعايش معها كالسكري والضغط

قالت ميرا : يا الهي ! زواج مؤجل

قالت الكسندرا : أترغبين بالزواج يا ميرا من هنا؟

ـ حقيقة أنا ارغب كأي أنثى في العالم بالزواج والإنجاب ؛ ليست ليلة وليلتين دون بيت وأسرة

قالت كاترينا : لست بكرا

ضحكت وقالت : وهل تعيش فتاة راقصة في ناد ليلي وتبقى عذراء ؟ .. ولكنها مرات قليلة

قالت الكسندرا : هكذا حياة بنات أوروبا حتى الأربعين أو اقل بقليل لتستقر بزوج أو تعايش كزوجين .. تزوجي من سامي

ـ حدثه أبوكن عن ذلك ؛ لكنه يصعب عليه أن يتزوج فتاة تشتغل في مهنة لا يتقبلها كثيرا المجتمع الشرقي

ـ غيري المهنة ..سأناقش سامي عنك

ـ ماذا سأعمل ؟

ـ الدنيا مليئة بالأعمال .

قالت كاترينا : ربة بيت هذا العمل مقبول في بلاد العرب والمسلمين

قالت ميرا بحيرة : هل استطيع الجلوس في البيت حتى يعود من عيادته لأقدم له الطعام؟! .. هل يسكر سامي مثلنا؟

قالت الكسندرا : كل عائلة عمي لا يشربون ولا يسكرون .. محرم الخمر بينهم ..سأتكلم معه بشأنك أنت تميلين للاستقرار والعيش لرجل واحد .. ليس كأمك وشبيهاتها من النساء

***

طلبت الكسندرا اللقاء بسامي في جلسة خاصة في مطعم سياحي ، فقبل الشاب الدعوة ولما انتهيا من الأكل وشرب العصير قالت : سامي أبي فاتحك بموضوع زواجنا وذكر لنا سبب عدم تشجعك للزواج منا ، ولمسنا جهدك للتوفيق بين كاترينا والمعالج مملوك

ـ هذا حدث ما الجديد ؟

ـ الجديد وأنت تعلم أن كاترينا تتمهل في حسم الزواج من مملوك حسني .. وميرا ترغب بالزواج منك أنت

ـ أنا ! تتزوج مني أنا !

ـ تحدثنا بالموضوع بكل صراحة ، وأنت بينت لأبي ولنا أن سبب عدم قبول أي واحدة منا هو طبيعة عملنا حيث انه غير مقبول إلى حد كبير في مجتمع شرقي أو في أسرتك .. إنما قد يحدث

كما قال أبي في وسط اجتماعي معين كمجتمع فني وسينمائي

ففهم مغزى الرسالة وقال : وهل ستترك ميرا الرقص والسهر في الفنادق والملاهي وتلك الأسماء

ـ هذا ما سيحدث فعلا أنت فطن ! .. ما دام والدنا اختار العيش هنا علينا أن نتغير .. أرجوك فكر في ذلك .. أنا قد لا افكر بالزواج هذا .. فقد كبرت جدا على زواج هكذا .. ميرا ما زالت صغيرة عمرها خمس وعشرون ممكن تتغير .. اجلس معها واشرح لها طبيعة الزواج في العائلة أما أنا فسأبقى ارعى أبي حتى يتوفاه الله ، وبعدها قد أعود للندن لإكمال الحياة الدنيا

قال : بارك الله فيك.. أنا كلفني أبي بالاهتمام بشقيقه والوقوف معه في كل أموره دون إخوتي ولقد لاحظت قيامي بذلك منذ عدتم للوطن المجهول لكم .. ولو لا حادث النادي لما عدتم لنتعرف عليكم .. هناك نقطة تستحق التذكير .. شكل أسرتنا يختلف عن شكل أسرتكم

ـ كيف لم افهم ؟!

ـ نحن أسرة محافظة إلى حد كبير .. مثلا أنا اصلي وملتزم بأهم شعائر الدين ؛ ولعلك لاحظت في دعواتنا لكم أن أخواتي يلبس ثيابا نسميها شرعية أو إسلامية

ـ عرفناها في بريطانيا ، نحن التقينا ببنات من الهند وباكستان والعرب ورغم لبسهن هذا تجد بينهن من يشربن الكحول وغير ذلك

ـ هذا موجود ، وليس كل من تلبس هذه الثياب متدينة .. فهل تستطيع ميرا أن تتغير إلى أسرة محافظة في رأيك ؟

ـ تفاهم معها على كل شيء يخطر في بالك واذا رأيتها قابلة لطاعتك فتزوجها

ـ أنا مطلق يا الكسندرا

ـ عرفنا ذلك من أول أيام وجودنا .. وانا تهمني حياة كاترينا وميرا .. ولا احب أن يكون مصيرهن مثل امهن يطاردن الرجال .. احب لهن الاستقرار والحياة النظيفة وانا كما قلت قررت أن أكرس حياتي لأبي حتى يفرق بيننا الموت .. فلا افكر بالزواج الدائم

ـ فكري فيه .. عمرك ليس كبيرا لحد اليأس منه .. واذا تيسر ابن الحلال تزوجي .. والعمل كما لمحت يتغير .. لقد قرأنا عن راقصات وممثلات غيرن حياتهن للأفضل والى أعمال أخرى .. تستطيع الواحدة أن تفتح متجرا أو مصلحة لتجارة الملابس والعطور وأدوات الزينة

ـ أنت جيد يا سامي لديك عقل متفتح ! .. الآن لنفكر في امر الأصغر لما تتزوج ميرا وكاترينا افكر بشكل كبير .. أنا جئت هذه البلاد من اجل أبي ، لقد اصبح ضعيفا بعد الحادث الغادر وكنت أنا السبب إلى حد كبير في تلك المعركة التي أدت لمصرع أخي فوك وشلل أبي .. فأقل تكفير أن ابقى معه .. فأنا التي أساعده على الاغتسال واحيانا تنظيف عورته .. فأمي لم تكن تفعل ذلك لم تكن أم صالحة .. ولم تكن هذه أول مرة تغدر بنا وترافق عشاقها لكنها أمنا

ـ أنت بطلة يا الكسندرا وتستحقين الحياة الطيبة .. سأفكر بالزواج من ميرا .. ذكرت انك مهدت الطريق للحديث في هذا الموضوع

ـ منذ اللحظة التي ستقرر مناقشة الحياة معها سأنهي عقدها مع الفندق

ـ نعم سأقبل مجرد كلامها بالتغير ونبدأ حياة الأزواج

ـ هي ليست عذراء كانت علاقاتها مجرد تقليد ومحاكاة لحياة بنات أوروبا

ـ اني اتقهم ذلك

ظلت ميرا تنتظر عودة الكسندرا من لقائها بسامي على جمر كما يقال حتى عادت بالبشرى فقالت : ماذا حصل بينكما ؟

ـ مهدت لك الطريق وأقنعته بالزواج منك وتقبل الأمر ببساطة ، فلما علم انك ستتركين المراقص وسهرات الليل ، رحب بذلك وسيعقد معك عدة جلسات تتناقشون فيها حياتكم المستقبلية وسيركز على اللباس و الإسلام .. فهم عائلة محافظة

ـ ما تقصدين باللباس والإسلام؟

ـ الدكتور من حيث المبدأ يقبل بالزواج منك بشروط معينة منها ترك مهنة الرقص وهذه أنت قبلت بها بدون تردد في جلستنا السابقة هكذا فهمت يا كاترينا

قالت كاترينا : نعم نعم وما الشروط الأخرى ؟

قالت : الشروط الأخرى لابد من تغير كلي ورويدا رويدا طبعا ؛ ليس في ليلة واحدة .. ترك الخمر وأنت لا تشربين كثيرا كما ألاحظ وثانيا اللباس يقول انهم عائلة محافظة أي عندها التزام بتعاليم الإسلام الأساسية مثل لبس الملابس الطويلة البعيدة عن العري ، فكل أخواته يلبس ذلك اللباس الشرعي كما كنا نشاهد المسلمات الهنديات والباكستانيات الطالبات وغيرهن في لندن وأيضا تتعلمين الصلاة

قال كاترينا : هل هو يصلي لم اره مرة واحدة يصلي ؟

قالت الكسندرا : نعم يصلي .. لم يصل هنا .. مرات كان يصلي في مكتب نعيم ربما خشية إحراجنا

هززن رؤوسهن وقلن : صحيح وأيضا

ـ أيضا يعني تصبحين امرأة مسلمة بحق لباس صلاة وتتعلمين اللغة العربية وتصبحين امرأة شرقية مسلمة بحق

قالت ميرا : والعمل؟

قالت : حتى انه سيساعدني على الزواج اذا رغبت بتغيير نمط حياتي .. فكما تفعل بنات التمثيل والغناء بترك مهنهن .. فيمكنني من فتح محل تجاري لبيع الثياب والمكياج والعطور أو غير ذلك

قالت كاترينا : تكلم بمثل ذلك

ـ القصد أن الإنسان يستطيع تغيير مهنته التي لم يتعلم ويدرس لها .. وهو وعد بالجلوس معك والتفاهم على أسلوب الحياة ..

قالت ميرا : يريدني أن اشتغل

قالت بحدة : لا ، لم يتطرق لشغلك قبل أن تتفاهما هو ضرب أمثلة لشغلي أنا أي يمكنني العمل بمهنة أخرى وسيأتي عليّ يوم اترك حفلات الرقص

قالت كاترينا : أنت محظوظة يا ميرا إن تزوجتيه فهو ابن عمك وهو طبيب وهو صديق العائلة

لفد خدمنا وحده منذ حللنا هنا

قالت : والده طلب منه ذلك وهو ينفذ رغبة أبيه

لما رجعن صباحا كان الوالد كالعادة يستيقظ على صوت الباب اذا غفي أثناء الانتظار وهن يفتحن ، وأول عمل يقمن به تقبيل رأس الأب العاجز ، والعادة أن يستريحوا قليلا ويشربون القهوة مع قطع البسكوت أو الكعك ، ثم يذهبون للنوم للظهر غالبا ، وقصت الكسندرا على والدها ما كان بينها وبين سامي نهار امس فالتفت لميرا وقال : ابن عمك بطل هل تقبلين به زوجا؟

فابتسمت وقالت : أنا اخترته يا أبي والكسندرا تساعدني في تحقيق ذلك ؛ لكن ليس سهلا أن يتأقلم الإنسان على طبيعة عيشهم صلاة لباس حشمة

ـ الإنسان يستطيع ذلك يا ميرا .. أنا صحيح لم اعرف التدين في كل حياتي ..كنت قريبا من الشيوعيين والقوميين عندما غادرت البلاد لدراسة الطب مثل شقيقي عدنان لم احب الهندسة أو القانون .. ولم وصلت بلغراد لم ادرس طبا ولا غيره تعلقت بتمارا أثناء زيارتي لمعرض وعرض راقص في كلية الفنون حيث كانت تدرس ثم تصاحبنا كطلاب ومعجب ، ثم هربت للندن بسبب ثورة في عهد تيتو الكرواتي حاكم يوغسلافيا بحزب اشتراكي ، ثم لحقت بها وهي اكبر مني ، واشتغلت في الملاهي الليلية بالرقص ، فصرت عشيق الرقاصة تمارا وبعد حين من حياة المجون تزوجنا زواجا مدنيا على النظام الإنجليزي ، وأثمرت علاقتنا إنجابكن الثلاث وأخيكن فوك .. صرت إنجليزيا اكثر من الإنجليز .. يمكن العودة لعادات وتقاليد العائلة وسأكون سعيدا وفي منتهى السعادة بزواجك من سامي.. أنت أحببته وهو شاب طيع ولين مع انه طبيب

قالت الكسندرا : ونحن نحبه يا أبي .. فهو إنسان لم يستعر منا ومن لبسنا ومن أعمالنا ؛ بل هو مهتم بنا اكثر من تمارا

***

الطلاق المدني

في إنجلترا وويلز، يمكن للزوجين المتزوجين مدنياً الحصول على الطلاق بعد أن يثبتوا أن الزواج قد انهار بشكل لا رجعة فيه انفصال قطعي، يمكن للزوجين تقديم طلب للطلاق أو فسخ الزواج المدني على أساس أن الزواج قد انتهى بشكل لا رجعة فيه .. يجب على أحد الزوجين أو كلاهما تقديم طلب الطلاق إلى المحكمة المختصة. . تسمى محاكم الأسرة أو ما شابه بعد تقديم الطلب تصدر المحكمة إعلانًا مبدئيًا بالطلاق، ويكون هذا الإعلان مشروطًا بفترة انتظار لمدة ستة أسابيع على الأقل قبل أن يصبح نهائيًا. . بعد انقضاء فترة الستة أسابيع، تصدر المحكمة الإعلان نهائيًا، ويتم إنهاء الزواج رسميًا. . . إذا كان هناك أي مسائل مالية أو أطفال يجب تسويتها، فسيتم التعامل معها بشكل منفصل عن إجراءات الطلاق .

إذا كان الزوجان يتفقان على الطلاق، يمكنهما تقديم طلب الطلاق بالتراضي ويمكن للمحكمة أن تصدر حكم الطلاق بشروط بعد فترة انتظار قصيرة .

إذا لم يتفق الزوجان على الطلاق، يمكن لأي منهما تقديم طلب الطلاق ويجب على المحكمة أن تنظر في الأدلة المقدمة لتحديد ما إذا كان الزواج قد انهار بشكل لا رجعة فيه .

قد تستغرق إجراءات الطلاق بضعة أشهر على الأقل، وقد تستغرق وقتًا أطول إذا كان هناك مسائل مالية أو أطفال معقدة يجب تسويتها .

***

دعا سامي ميرا لزيارة عيادته للكلام في موضوع زواجهما ، فقبلت الدعوة بفرح عارم ، فلما اصبح أمام العمارة اتصل بها من مكتب نعيم واخبرها انه ينتظرها في مكتب الإدارة ، فتركت غرفة النوم ولبست بنطالا وقميصا بسرعة ، وتركت علبة الدخان في الشقة ، ونزلت للمكتب فلما رآها في بهو العمارة وقد فارقت المصعد ، شكر الشباب واستقبلها مسلما وقال : حياك الله يا ميرا

ابتسمت له وقالت : أهلا ابن عمي

وجلست بجواره وجلس على مقعد القيادة قال : سنجلس في العيادة خلال ساعات العمل .. شرحت لك أختك المبادئ العامة التي أزعجتها بها

ـ نقلت لي كل ما استوعبته منك

ـ جيد هذا ! هذا سيختصر اللقاء حتى تكملي نومك أنا اعلم أنكن تنمن لبعد الظهر

ـ أنت رائع وممتع ! أنا أحببتك فعلا يا سامي ! لكن لم افكر فيك كزوج إلا من أيام .. هل جاءك مثل هذا الخاطر ؟

ـ الحقيقة لا ،كان الأمر مستبعدا .. والدك تحدث في مثل ذلك ؛ لكنه لم يتطرق لاسم واحدة منكن كلام عام .. وسبب عدم تفكيري بك أو بأختيك كمشروع زواج البون الشاسع بين عاداتنا وعاداتكم .. لكن كلام الكسندرا غير اتجاه تفكيري أنا زواجي من أخرى كان مسألة وقت .. أنا انظر إليكن كأجنبيات وغربيات رغم القرابة بيننا .. لو لم تحضرن لبلادنا كيف نلتقي ؟ عمي لما خرج من البلد لم اكن مخلوقا بعد ولم يأت بأي زيارة ولو ساعات ؛ لكنه كان يتواصل مع أخيه بالهاتف وبعض الرسائل والتقاه أبي مرة في زيارة للندن بضع دقائق فقط مجرد سلام ومع السلامة .. هل أخبرت بأن إجراءات طلاق والديك على قدم وساق ؟

ـ اتصل المحامي مخبرا له .. والانفصال هو الأفضل .. أمي يصعب عليها ترك الرجال والغزل كانت حتى مراهقة أمامنا نحن البنات

ـ البيئة البيئة يا ميرا تشكل الإنسان وتضع بصماتها عليه

ـ الأدب مطلوب في حياتنا ومراعاة مشاعر الآخرين

توقف أمام العيادة وفتح لها الباب وقال : اعمل هنا في هذا المجمع الطبي

ـ ما نوع الطب الذي تعمله ؟

ـ الكسندرا زارت عيادتي عددا من المرات .. أنا طبيب خلع أسنان لا تخافي .. ولي شريك في العيادة نغطي على بعض والدخل جيد يفتح بيتا وعيشا مقبولا ولي استثمارات مع إخوتي

دخل العيادة بصحبة ميرا وكان في العيادة شريكه وبعض المرضى فقال لموظفة العيادة وهي تحدق

البصر بالفتاة النحيفة التي دخلت بصحبة الطبيب فقال : ميرا ابنة عمي اللندنية
تصافحت الفتاتان فقال معرفا : سكرتيرة العيادة السيدة جليان .. خذي بالك منها جليان حتى أرى شريكنا احمد .. اعنده احد ؟

ـ امرأة كبيرة

ـ حسنا طرق باب العيادة وقال : سلام احمد أنا جئت

ودخل غرفة علاجه الخاصة به وطلب نفرا لعلاجه ، قدمت جليان القهوة للآنسة ووجدت أنها لا تحسن العربية فقل الكلام ، ولم يكن في العيادة مراجعون إلا في غرف العلاج وشاب وفتاة ينتظران دورهما ، ولما ودع احمد المعالج رأى ميرا فقال للسكرتيرة برأسه من هذه؟ فقالت ضاحكة : ابنة عم الدكتور سامي لغتها العربية بسيطة وركيكة إنجليزية إلى حد كبير
قال متنهدا : آه أسرة عمه المشلول .. اقترب منها وسلم عليها قائلا : أنت ابنة عم سامي (قالها بالإنجليزية) فضحكت وهزت رأسها بنعم فرحب بها ، وأشار للشاب بدخول غرفة العلاج والجلوس على كرسي العلاج وهو يتمتم : هذه الفتاة أبوها عربي عم الدكتور الزميل سامي ولا تفقه من العربية شيئا .. كانت في بريطانيا تعيش وجاءوا من شهور بسبب مرض والدهن
قال الشاب الذي سمع تمتمات الطبيب : لاحظت عدم فهمها على موظفة الاستقبال كانت تتعامل معها بالإشارة

ـ جليان لا تعرف الإنجليزية سوى كلمات يكثر قولها لبعضنا البعض باي أوكي مورننك
وانشغل بسن الشاب المحتاج لعلاج ، ولما خرج سامي قال لميرا : كيف القهوة في العيادة ؟
ضحكت وقالت : طيبة .. هل تراني سأحسن الكلام بالعربية ؟

ـ الأمر بسيط عندما تتعاملين مع الناس بالعربي ستتحسن اللغة مع دورة في مركز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بالعربية ستتعلمين ..بعد قليل سنغادر سنذهب لغابة تسر القلب
ضحكت وقالت : رؤيتك تسر القلب

ـ هذا أنا محبوب وأنا لا أدري ! قد تبدو الحياة صعبة خلال أول سنوات ...

وقبل أن يسمع الجواب أشار للفتاة بدخول غرفة العلاج ، وبالفعل تحدث مع احمد عن مشروع الزواج واستأذن بالمغادرة لإجراء الحوار في غابة لا تبعد كثيرا عن المجمع الطبي للعيادات الخاصة ، قامت ميرا للسيارة وطلبت منه سيجارة وقالت : التدخين ممنوع

ـ أنا ادخن مع اني طبيب .. أين دخانك؟

ـ تركته في البيت

ـ سأشتري لك علبة وتوقف أمام دكان لبيع البقالة واشترى لها علبة كولا مع علبة السجائر وقال : سنتناول الغداء في الغابة القريبة

***

بعد الجلوس وشرب الماء وبعض العصائر قال : الكسندرا الباسلة مهدت لنا طريق الحوار .. ما قلت فيما نقلته لك من طلبات

ابتسمت وقالت : سأنفذ كل ما تريده وتطلبه مني بقلب راض .. لكن عليك بالتحمل والصبر حتى استوعب حياتكم .. الكحول لا اشرب الكثير منها لا اذكر اني شربت وسكرت أو فقدت الوعي منها .. واللباس أمره سهل .. والرقص من الآن انتهى هكذا قلت للكسندرا اذا أعطيتني إشارة إيجابية فلن اذهب الليلة .. وأما الصلاة والإسلام عليك بتعليمي إياه حبة حبة

قال صادقا : خلاص اتفقنا ما دمت مرحبة بكل هذه الطلبات فسنتزوج قريبا بعد فترة خطبة قصيرة حتى لا تندمي وانك تعجلت وحتى أن صاحبي مملوك يرحب بكاترينا زوجة ولكنها هي خائفة ومترددة بإعطاء وإبداء موافقة أولية .. وهو مستعد لمصاحبتها إلى فرنسا فترة العلاج التي لن تزيد عن علاجها هنا

قالت : هي راغبة به ؛ لكن مرضها يسبب لها القلق وتخشى التسرع فيندم وتندم

ـ هو مستوعب حالتها وهو يظن أن مرضها نفسي اكثر منه عضوي ؛ بل يرى أنها بالزواج قد تتحسن نفسيا وطبيا

ـ انقل لها هذا الكلام

ـ المشكلة اتفاق باريس .. فلتتفاهم معه كما تفاهمت معك والشاب مستعد لمرافقتها في رحلة العلاج وعلى نفقته

ـ هذا محب ولهان لها ؟

ـ الحب يأتي بدون مقدمات يا ميرا .. ها أنا لم افكر بالزواج منك لولا الكسندرا وهي تعتبر نفسها أما لكن وتتكلم عن حب وعطف عن عمي وانها هي التي تخدمه بعيونها تكفيرا على أنها تسببت بمقتل أخيها وإصابة والدها

ـ نعم تعيش المأساة حتى أنها ترفض أن نساعدها في غسل أبي وتنظيفه بعد إزالة الحفاضات

ـ نعم حدثتني عن ذلك الوفاء وقيامها بمهمة أمها

ـ بالنسبة لنا هل بقي من امر تعرضه علي ؟

ـ سأبدأ بتعليمك اللغة العربية في معهد مسائي كل يوم مدة شهر زمان أو اكثر وسأذهب بك إلى أختي أم سليمان لتأخذك إلى خياطة ملابس شرعية لتبدئي بالتدرب عليها والخروج بها وسيكون زواجنا قريبا حسب رغبتك وقبولك .. فبيتي موجود يحتاج لتغييرات بسيطة أنا أسكن في نفس شارع سيدو عدنان في الجهة الأخرى شقة في حي السفاح بيني وبين عمارة عمي أمير اقل من عشر دقائق .. أنت لك طلبات مني ؟

ـ لا شيء .. هل سأعمل وماذا سأعمل ؟

ـ امرأتي الأولى كانت موظفة في الدولة .. واذا وهبنا الله أطفالا لك الحرية بالبقاء معهم أو العمل خارج البيت وانا سأوفر لك وظيفة وعملا محترما لشغل وقت الفراغ ومالك لك

ـ مثل

ـ أنت ماذا تحبين أن تعملي؟ .. لما تتحسن عربيتك يمكنك أن تعملي في الترجمة في شركات الترجمة ودور النشر .. يمكنك العمل بتدريس الإنجليزية للعرب في مراكز ومؤسسات لنا فيها معارف .. في شركات إخواني وأخواتي .. لدينا مشاريع استثمارية تعملين فيها

ـ أنت رائع يا سامي تبسط الأمور سأتعرف على شركات الأخوة والأخوات هيا إلى الأخت

ضحك وقال : أختي ليست خياطة إنما ستذهب بك إلى خياطة تتعامل معها

ـ أنا محبة لك من قلبي أنا من زمان كنت ارغب بتغيير شكل حياتي والرقص شبه عارية أمام من هب ودب .. لكن الإلف والعادة تسحق شرف الإنسان في تلك الديار

***

عادت ميرا للشقة مع الغروب واستقبلت بفرح ودهشة فقبلت وجنتي أبيها أولا ثم أختيها فقال الأب : نحن في شوق حقيقي لمعرفة نتائج اللقاء ـ وحرك كفه بشكل سعيد ـ ما النتيجة ؟

جلست على نفس كنبة أو أريكة الأب وقالت : أنا سعيدة يا أبي !

قال : ونحن سعداء هل اتفقتم على شيء معين ؟

قالت بفرح بين : على كل شيء

قالت الكسندرا : طال المشوار رحنا على السوق واشترينا ملابسا وطعاما ونحن ننتظر .. على ماذا اتفقتم ؟

قالت كاترينا : نحن مسرورون لك يا ميرا سعادتك سعادة لنا

قالت : أخذني على العيادة .. واليوم عرفت انه طبيب أسنان كنت أظنه طبيبا بشريا .. ويعمل مع شريك له اسمه احمد وشربت قهوة من صنع سكرتيرة العيادة .. ثم أخذني لغابة في المنطقة وتحدثنا بما نحب وسنتزوج قريبا يا أبي فهو أيضا من سكان الشارع الكبير في حي السفاح ثم سيأخذني لمعهد أتعلم العربية كأساس ومبادئ والباقي سأتعلمه من الحياة ، ثم أخذني عند أخته أم سليمان لها شركة مع زوجها تعمل في صناعة الثياب الشرعية الخاصة وثم أخذتني للخياطة التي تفصل الثياب عندها وأخذت مقاسي والألوان التي ارغب فيها ثم عدت للشركة وتجول بي في شوارع جميلة وتركني على باب العمارة ومرسلا لكم التحيات

قالت الكسندرا : ثياب طويلة .. الف مبارك لك حبيبتي والصلاة

ـ قال بالتدريج الأول اللغة واللبس لأن الصلاة لا تصح إلا بالعربية

قالت كاترينا : والرقص

ـ من الليلة استقلت منه يا الكسندرا والشراب

قال الأب : أنا سعيد اكثر منك يا ميرا .. سامي رجل جدع ومبارك منذ جئنا وهو معنا وفي خدمتنا يا بنات وعقبال عندكن أنت أيضا

قالت الكسندرا : ستفرح بنا يا أبي فسامي مهتم بالأمر كأننا بناته أو أخواته وعريس كاترينا ينتظر موافقتها

قالت كاترينا : هو شاب لطيف بعد باريس قلت لسامي سأفكر به بشكل جيد اخشى أن يكون المرض معيقا للحياة الزوجية

قالت الكسندرا : بل يرى مملوك أن الزواج قد يكون عاملا مساعدا للعلاج كما قال لسامي يرى أن مرضك نفسي اكثر منه عضوي

ـ أنا تعبانة نفسيا من أعمال تمارا العجوز تطارد الشبان تظن نفسها صبية مراهقة

قال الأب : خلاص يا حبيبتي سيكون الطلاق والفصل بيننا كما اخبر المحامي الذي كلفه سامي المحترم بمتابعة قضية طلاقنا

قالت الكسدرا : ستبقى أمنا يا أبي وسيبقى بيننا اتصال .. فالطلاق لا يعني لنا شيئا فاصلا ؛ لكنه مريح لقلبك أنت

قال : نعم سأكف عن الانزعاج من مغامراتها وهربها .. وستبقى امكن لا يمكن حذف الأم والأب من حياتكن .. نعود لميرا وماذا ستعملين ؟

ضحكت بفرح بين : هذه لم تكن مشكلة عند سامي يا أبي .. هؤلاء عندهم شركات ومشاغل صناعية وطرح العمل في الترجمة بعد معرفتي للعربية أو تعليم الإنجليزية للعرب والطلاب

قالت كاترينا معجبة : عنده خبرة هذا الدكتور هو من جيل الكسندرا

قالت : أنا اكبر منه بسنة واحدة فقط .. هو فعلا لديه خبرة ومعارف ربما من العمل كطبيب هذا يتكلم بقصة وذاك يتكلم بقصة

قالت ميرا: وهو مؤدب لم يحاول أي تحرش بي ؛ كما كان يحدث معنا من أصدقاء العائلة

قالت كاترينا : هو يصلي يا ميرا .. معنى زواجك انك ستعودين لأصلك وبلد أبيك الحبيب

***

عند الظهر نزل سامي من السيارة واتصل من عند نعيم بشقة عمه وتحدث مع ميرا واخبرها انه بانتظارها فقال نعيم : هل اتفقتم ؟

ـ سأذهب بها الآن للخياطة لتستلم الثياب الشرعية أو إجراء بروفة أخيرة .. طلعت فتاة مثل العجينة .. الآباء الذين يهاجرون يظلمون أطفالهم في بلاد المهجر يذوبونهم بالكامل مع تلك البلاد .. تركت الرقص من ليلة امس والخمر وستتعلم العربية

قال نعيم : ما شاء الله ممتاز يا دكتور أنت تكسب فيها أجرا بإرجاعها لأصلها !

ـ سبحان الله! الأمر بالزواج منها لم يكن يخطر على بالي .. هي اصغر أخواتها سنا

كانت تقف على الباب وحيت الشباب فردوا لها التحية بأحسن منها فقال المهندس : سيكون لي معك حديث يا دكتور سامي في نفس الموضوع قريبا

ـ إن شاء الله

امسك بيدها بعد مصافحتها وقال : هيا

فنظرت للمكتب وابتسمت فقال : أخبرتهم أننا سنتزوج قريبا

ـ حبيبي سامي أنت في كل كلمة تدخل السعادة على قلبي وقلب أبي .. أبي امس كاد يطير من الفرح لما علم باتفاقنا

ـ وأبي يعد بالخير وسيدفع مهرك من اجل خاطر أبيك

ـ متى سأجلس معه ؟

ـ الليلة نأخذ عمي والبنات اذا احببن ذلك

ـ أنت قلت لنا أن امك ميتة

ـ رحمها الله .. لي امرأة أب لم يقبل الأبناء أن يبقى أبونا بدون زوجة .. فهو عاجز مثل أبيك بس

من السن وبعض الأمراض التي تسمى أمراض الشيخوخة فزوجته سعيدة باقتراننا مثل أبي

ـ كم احبك يا سامي هل أحببتني ؟

ـ وهل سأتزوجك من غير أن احبك يا صغيرتي .. أرجو من الله أن نكون سعداء في حياة الجد

ـ هل تحب أن ابتعد عن الدخان ؟

ـ هذا لك ؛ فأنا ادخن من أيام الجامعة .. واذا قدر الله لك الحمل فالأفضل والأسلم أن تبتعدي عنه .. هذا امر لك يا حبيبتي !

ـ يا سلام ما أحلاها من فمك !

***

أخذها إلى الخياطة لتقيس الجلابيب الشرعية كانت مناسبة جدا عليها ، ثم علم أن أخته دفعت ثمنها فانتقل لمعرض أخته وزوجها ؛ حيث كانت تملك متجرا لبيع الثياب النسائية وزوجها طه يدير مشغل الخياطة الخاص بها ، ورفصت أم سليمان اخذ الثمن واعتبرته هدية لابنة عمها فقام سامي بدفع ميرا إلى شراء ملابس داخلية لها ولأخواتها وملابس نسائية لها ولأخواتها واشترت ملابس وجلابيب جاهزة للبيع ، ودفع الثمن بصعوبة وحلف أيمان ، وبعد شرب أكواب الليمون ، غادرا المحل وانتقل بها لمحل حلويات واشترى ما يناسب منها ، وعاد بها إلى شقة عمه واستقبله عمه بالأحضان والدموع ، وهو يعبر عن سعادته بزواجه من ابنته ، وأخذت الفتاة أختيها لغرفة نومهن ليشاهدن ما في أكياس المحلات وتقبلن هدايا سامي واختهن ، ثم خرجت ميرا بجلباب شرعي تقف أمام والدها وهو يشهق ويبكي فقال : انحرمنا من هذه الملابس الرائعة على بدنك يا ميرا! أتمنى لك السعادة والخير مع ابن أخي الجواد شكرا يا سامي على إدخالك الفرح على قلبي بعد أن تحطم واسوّد .. أنت ملك بعثك الله لنا

وخرجت كاترينا وهي تلبس جلباب جلباب ضاحكة : كيف ترونني ؟

قال سامي : رائع ! اذا تزوجت من مملوك ستلبسين مثله

ـ أهو شيخ؟

ـ ليس من يصلي يا ابنة العم شيخا .. اغلب الناس تصلي وراثة ، فنحن في بلد مسلم على كل حال ؛ وليس كل مسلم متدين ، فعمي مسلم وما زال يحمل اسم مسلمين وإن حمل جنسية ملكة بريطانيا .. الصلاة شيء متوارث .. مع صراع الحياة والتيارات الفكرية ترك الكثير الصلاة وغيرها من الطاعات الشرعية ، وعند موتهم يسوقه أهله للمسجد للصلاة عليه مع انهم يعلمون يقينا انه لم يكن مصليا ويدفنونه في مقابر المسلمين ويوزعون أمواله إن كان صاحب مال على طريقة توزيع المال عند المسلمين

قال العم : كلامك عظيم يا سامي ! لقد ذبحتنا السياسة واليسارية وغيرها من التيارات الجارفة

قالت الكسندرا : شكرا يا سامي على الملابس الخاصة بنا

أحضرت ميرا الحلوى التي احضروها معهم ، وتم توزيعها على الجميع مع علب عصير الفواكه

وقال سامي : هل تغديتم ؟

قال : كنا ننتظر ميرا

نهض إلى الهاتف واتصل برقم مطعم ينقل الطعام للزبائن

***

غادر سامي الشقة بعد وصول سيارة نقل الطعام ودفع الفاتورة رغم احتجاج العم ولما وصل المكتب قال المهندس عمير : ستتزوج تلك الصبية بإذن الله ما الذي جد قد كنت تقول أسرة فاسدة ..

ـ قبل أخذها لجلب الجلابيب يا مهندس حدث تغيير كبير للبنت وستتعلم العربية لتعرف الصلاة

فقال نعيم : اجلس واشرب الشاي وقل لنا القصة

جلس وقص القصة واعجبوا فيها وقال المحاسب : والله أنجزت إنجازا كبيرا يا دكتور سامي بإنقاذها من الهبل والرقص .. الأجانب حياتهم عجيبة أي هبل يتخذ مهنة

قال الطبيب باسما : يا أستاذ معن الرقص للرجال والنساء هواية عند كل الشعوب .. فنحن

وأنت عندنا رقص ونط ودبكة .. ما هو كله رقص ؛ لكنه رقص مواسم ومناسبات من يتخذ الرقص مهنة يستسخفه الناس

قال المهندس : كلامه صحيح يا معن ! ألم ترقص في عرسك امك وأخواتك وأنت والعروس

قال معن : حصل لكن قصدت بالاعتراض الرقص بدون ثياب أو بسروال قصير حتى انني اسمع ولم أر أنهن في أماكن معينة يرقصن عاريات

قال نعيم : في بعض كباريهات أوروبا يحصل ذلك

قال سامي : الرقص كما التمثيل عند بعض الناس وظيفة .. نحن لا نقبلها ولا تستساغ في قاموسنا ؛ ولكن هؤلاء الأجانب الرقص فن واحتراف ومدارس وجامعات جعلوا من هذه الأمور الشعبية شغلا وفنا ومالا

قال نعيم : كلامك صحيح .. البنت تركت الرقص والسكر

ـ منذ اتفقنا على ذلك وتقبلت الانقلاب بسهولة ويسر ؛ وربما أختها الأكبر اذا تزوجت صديقي المعالج الطبيعي ستلحق بها بإذن الله .. التغيير يا شباب أحيانا لا يكون سريعا كن فيكون .. بعض الصحابة ظل عشرات السنين على كفره وجاهليته حتى اقتنع ومثال على ذلك سيدنا خالد وسيدنا عمرو .. المهم الانقلاب في النهاية والأمور بخواتيمها

قال عمير : كلام ممتاز يا دكتور ! أنا سعيد لك وفعلا نرجو أن ينجح زواجك معها .. فالبنت صغيرة كما قلت ويسهل تقبلها للتغير

***

بعد انصراف الطبيب قال نعيم لعمير : لم تحدثه بموضوع زواج قريبك من الكسندرا

ـ رأيت التأجيل .. وهذا الطبيب بطل فعلا في نظري .. هؤلاء البنات ضعن في حياة لندن ومجونها .. سينتهي بهن المطاف في دور العجزة والمصحات العلاجية .. اعجب من الناس الذين يذهبون لتلك البلاد ويذوبون ذوابان الثلج في خضم حياة الإنجليز وغيرهم من شعوب أوروبا حتى بتنا نسمع أن بنات المسلمين يتزوجن من رجال النصارى واليهود دون حياء من الدين ومن الأهل وامتهان الدعارة والرقص وغير ذلك

قال المحاسب معن : يا صديقي هؤلاء مسلمون بالاسم مثل والد البنات

قال نعيم : هكذا الأمور انحلال وأخلاق كذابة ؛ ولكن الدنيا لا تخلو من الصالحين .. البيئة لها تأثير كبير على عادات الناس وتقلبهم .. والشغل مع الرجال في كل الأماكن زاد الطين بلة حتى نحن في بلادنا حدثني شاب يعمل سائقا في شركة أدوية محلية أو ما شابه قال لي مرة دخلت مكتب من مكاتب الإدارة البنات والشباب يتكلمون بكلام رذيل عن الجنس والزنا والوان ملابسهن الداخلية

قال عمير : كل زبالة الانحلال والغرب تنتشر في مكاتبنا ومدارسنا اذا المخدرات تباع في الجامعات ومدارس الكبار ذكورا وإناثا

ـ الجرائد تنشر ذلك بتحفظ

ـ إنا لله وإنا اليه راجعون

***

زارت الأسرة بيت عمها سيد عدنان وفرح الحاضرون بزواج سامي وميرا القادم وتمنوا أن يتم على خير ويسر وبركة ، وكان الحاج عدنان قد أقام لهم وليمة بيتية سرتهم الوليمة والحفاوة ، وذكرت أمير بأيام وولائم أبيه وامه ، وفي المساء غروبا عادوا للشقة وهم يلهجون بذكر عمهم وجوده بينهم ، وكان الاستعداد قائما لسفر كاترينا وحدها لعرض نفسها على أطباء اختصاص

في مراكز علاجية في باريس كما اتفقت بالمراسلة مع مركزين ، فكاترينا لها معرفة بباريس من حياتها الاجتماعية وحفلاتها في باريس وجنوب فرنسا ، فقد شاركت في حفلات موسيقية كبيرة وكان سامي سيد عدنان يواسي صديقه المعالج الذي شغف حبا بها أثناء قيامه بعلاجها الطبيعي فقال مملوك : تمنيت سفري معها ؛ ولكنها خائفة من نتائج العلاجات اذا كان لها علاج كما أخبرتها تلك المراكز وانا اشك في ذلك

قال سامي : هي رغبت أن تسافر وحدها حتى لا تشعر بشفقتك عليها أثناء جلسات العلاج وهي أيضا يا صديقي لم تحسم امر الزواج وتغيير سلوكها الحياتي كما فعلت ميرا الشقيقة الصغرى

ـ أتمنى لها العودة سالمة ومطمئنة .. والزواج كما تقول الأمهات قسمة ونصيب

ـ هذا صحيح .. ولا خطر في بالي يوما أن أتزوج ببنت عمي أمير وهي نفس الأمر فهن لا يعرفننا أصلا فصارت مأساة عمي ليعود بعد اكثر من أربعين سنة للوطن حتى لما مات والداه لم يحضر حتى أنه رفض اخذ أي ميراث منهما بعد وفاتهما وما زالت حصته محفوظة في البنك وهو رغم عجزه يرفض أخذها

ـ موقف عجيب وما وجهة نظره

ـ لا يوجد وجهة نظر .. فقد رفض ولا حق له فيها

ـ الميراث كما نعلم حق رباني عطاء وهبة من الله هو قسمها للعباد .. وهل المبلغ كبير ؟

ـ كم الف من الدولارات .. جدي كان تاجرا كبيرا في سوق الوردة المصرية

عاد مملوك يقول : حياتنا عجيبة وآيات ربانية .. هل ستتواصل الفتاة معكم؟

ـ أكيد ستتصل بأبيها وأخواتها كل يوم وستطلعني ميرا وربما عمي عن أي تطور وسأنقله لك لعلها بعد عودتها تتشجع وتتزوجك يا مملوك ..كلهن راغبات بالزواج والحياة المستقرة .. حتى الكسندرا ؛ ولكنها نذرت نفسها لخدمة أبيها فهي التي تقوم بتحميمه وغسله وتنظيفه وغسل ملابسه ؛ لأنها كما قالت لي كانت السبب فيما جرى لهم من مأساة من موت فوك أخيها

وإصابته برصاصة قاتلة وإصابة أبيها بظهره

ـ ما أخبار امهن التي ستكون حماتك ؟

ـ لا احد يسأل عنها منهن .. وكلنا محاميا لمتابعة إجراءات الطلاق المدني فزواجهما زواج بريطاني مدني لم يكن زواجا دينيا كما يفعل بعض الناس هناك .. والطلاق المدني هو حاصل والذي يؤخره الانتظار وحصر الملك المالي والعقارات المشتركة بينهما فلهما نادي مؤجر هناك فسيتم بيعه ليقسم بينهما

ـ وفاء النساء قليل في تلك الديار

***

كانت رحلة كاترينا إلى باريس تسبب قلقا للأسرة ، فلذلك كانت الكسندرا تتصل بها مرتين في اليوم على الفندق الذي نزلت فيها ، وهو فندق معروف لها لكثرة زياراتها لباريس وغيرها من مدن فرنسا عندما كانت تعيش في بريطانيا ؛ لأن حفلات الرقص والاستعراض كثيرة في تلك البلاد بين حفلات خاصة ومهرجانات ومسابقات ، وبعد أربعة أيام قالت كاترينا لأختها الكبرى : يحتاج العلاج لوقت أطول مما قيل لي سابقا .. ورغم أن لا جديد حقا عن تطبيب بلاد أبي

ـ كم من الوقت ؟

ـ بين ثلاثة اشهر إلى ستة اشهر

ـ لماذا ؟!

ـ يبدو انه كما قال المعالج مملوك علاج نفسي اكثر منه علاج بدني

ـ وهل ستبقين كل هذا الزمن ؟

ـ هكذا ينصحون أطباء مركز العلاج .. لذلك قررت البقاء

ـ قررت البقاء والعمل في الفندق

ـ سأعمل هنا ، اتفقت مع صديقة لي للعمل في معهد موسيقى كموظفة ..هي تعمل فيه من

سنوات فرحبت بي .. اعمل وأتعالج وفي فترات الإجازات أسافر إليكم

ـ وهل دخل المعهد يغطي تكاليف العلاج في ذلك المركز والسكن والعيش في باريس؟

ـ ليس أمامي إلا ذلك ..هل من أخبار عن أمي ؟

ـ لا تتصل بي لا في الشقة ولا في الفندق ؛ وكما قال المحامي إجراءات الطلاق بينهما قائمة وعرض النادي للبيع وهو سبب تأخير إصدار المحكمة الطلاق النهائي .. لإجراء التصفية المالية وقسمتها بينهم على كل خلينا على اتصال دائم واذا احتجت لدعم مادي تحدثي معي فلي رصيد جيد

ـ أشكرك ولا تنسي تحياتي للجميع

***

زار مملوك حسني عيادة الأسنان الخاصة بسامي في مجمع العيادات في شارع الجامعة وبعد الترحيب قال : مضى الأسبوع ولم تتصل بي ؟

قال سامي مفكرا : يبدو أن الأمر انتهى بينك وبينها يا صديقي

ـ ما الذي حدث لينتهي ؟

ـ الذي حدث أيها الأخ الفاضل أنها ستبقى هناك من ثلاثة اشهر إلى ستة بزعم العلاج الطويل وستضطر للشغل هناك في معهد خاص بالموسيقى لتنفق على العلاج والعيش هناك .. هذا مختصر ما قالته أختها الكبيرة

ـ علاج ستة اشهر مدة طويلة

ـ وربما بلا فائدة طبيبة .. فهي وهي تعاني من الوهم لن تغامر بالزواج .. سمكة ووقعت في الشبكة سيمتصونها بالعظم

ـ افهم من ذلك علي أن انسى فكرة الارتباط بها

ـ هذا الأفضل يا أخي .. تنتظر ثم تقول لك اسف .. فلعل الله ييسر لك خيرا منها

ـ لا يسعني إلا أن أشكرك على سعيك بيننا

ـ لما حدثتني برغبتك بها زوجة اجتهدت أن اقنعها بك ولكن المرض والوهم منه عقد حياتها ..

وقد تكون يا صاحبي فكرة العلاج والمدة كذبة للبقاء هناك باسم العلاج

ـ تكذب على أهلها

ـ ولماذا لا تكذب ؟! فتاة تقضي عمرها في نوادي ليلية والعزف على آلات الموسيقى لا تكذب الكذب مرض يسري بين كل الناس ..

ـ كلامك غريب !

ـ وهل كل ما نتفوه به صدق يا مملوك ؟

ـ دع الخلق للخالق

ـ أنا قلت ذلك عنها ؛ وبعض الظن إثم ؛ ربما ثقل عليها العيش في بلد كهذا لا أصدقاء ولا حفلات خاصة وسهرات خاصة من البيت للفندق كل هذه الشهور .. لا تقاس حياة لندن وحياة باريس بالعيش في بلد صغير بالنسبة لتلك الدول العظمى

ـ أتمنى لها العافية والتوفيق إلى اللقاء يا دكتور سامي

***

كان سامي يعتقد أن رحلة باريس كانت للتخلص من أتعاب الأسرة والعيش مع أب ميت وترك حياة الصخب وكلمات الغزل والإعجاب كما يجري في نوادي الليل ، وكان يسأل نفسه : هل اختياري الزواج من ابنة العم فكرة صائبة ؟ هل ستنسى حياة لندن عشرات السنين بالزواج مني ؟! ها هي أمها سافرت باريس وهربت مع عشيق أو اكثر وها هي كاترينا تذهب لباريس وقد أصرت ألا يذهب معها احد وتزعم أن العلاج سيطول وقد لا تعود .. أنا في حيرة ..الأسرة رحبت بزواجي من ميرا .. أتراها تتحمل العيش في أرضنا ؟!

صعد سامي إلى شقة عمه عصرا فقالت له الكسندرا : سننقل الوالد إلى المستشفى اصبح متعبا ومسهولا ولا ندري مما ؟

ـ هل ترك الكحول كما أوصاه الطبيب في آخر زيارة؟ الكبد عنده تعبان جدا

قالت : لم يفعل يا دكتور منذ سافرت كاترينا وهو يزيد من الخمر يعتقد أنها هربت لم تعد تطيق العيش معه .. هكذا يفسر بقاءها هناك

ـ لعل في ذلك شيء من الصحة .. صحيح مرضها غامض ونادر

ـ هي تزعم أن هذه البلاد متخلفة .. مع أن الطب عالمي وتنتقل الخبرات بين بلدان العالم كالأجهزة الطبية لا تحتكرها دولة دون الآخرين .. المهم سنأخذه للمستشفى

ـ أنا جاهز هل هو جاهز ؟

حمل على عجلة العجزة وكانت سيارة إسعاف المستشفى على باب العمارة تنتظر وحمل فيها وصعدت البنات مع سامي إلى المستشفى المقصود ، وادخل على قسم الإسعاف الفوري وجلس سامي والفتيات في الانتظار لخروجه من غرفة العلاج .

قال سامي : لابد من تركه الكحول .. هل من أخبار من فرنسا ؟

قالت الكسندرا : لها أسبوع لم تتصل .. لا يدري الغائب كم نقلق عليه عندما يقل اتصاله بنا

ـ لعلها في المركز تتعالج

ـ العلاج حسب ما فهمت منها جلسات ومع السلامة لا تحتاج لنوم

ـ قد يكون تغير نظام العلاج

ـ لم تقل شيئا عن ذلك .. وعمل المعهد في النهار

ـ هي استلمت العمل في المعهد

ـ من الأسبوع الأول .. أنا قلق عليها فعلا يا سامي تراودني نفسي بالسفر فجأة لأطمئن عليها ولكن تعب أبي صرفني عن هذه الفكرة وميرا لا ترى صحة فعلي ؛ لعلها في رحلة خلوية أو مع صديق أو صديقة

ـ معها حق يا الكسندرا باريس مثل لندن الأمور تلك متيسرة

ـ كان يجب أن تخبرني فلن امنعها من ذلك هي حياتها

ـ لو اعرف شيئا في باريس لسافرت إليها ؛ لكنها لا تتقبل سفري للبحث عنها

قالت ميرا : هذا ما ستعتقده كاترينا .. فلنصبر حتى تقول من نفسها الكسندرا

بينما هم يتناقشون حول انقطاع اتصالات كاترينا خرج احد أطباء الإسعاف مخبرا لهم انهم سيدخلون الرجل غرفة العمليات فعنده أعراض أزمة قلبية سوى مشاكل الكبد ربما يحتاج لعملية قسطرة قلبية وافقت الكسندرا على الإجراءات بدون تمهل ، وانتقل المريض إلى قسم جراحة القلب

***

وخلال ساعات تمت القسطرة وتقرر طبيا أن يبقى تحت المراقبة عدة أيام وغادر سامي والبنات المستشفى وقبل أن يصعدوا اخبرهم الحارس أن المكتب يرغب بالحديث معهم فمشوا إلى المكتب فلما رآهم نعيم رحب بهم وسلم عليهم واخبرهم أن أختهم اتصلت من باريس قبل اكثر من ساعة فقلت لها انهم خرجوا مع سامي فقط

قالت الكسندرا : شكرا سأتصل من الشقة تفضل معنا يا سامي لنرى ما الأمر ؟

قال سامي : شكرا نعيم أين الشباب ؟

ـ المحاسب ذهب للبنك وعمير في البناية الثانية في مهمة تصليح .. كيف مريضكم لا أراه معكم؟

ـ سيقضى أياما تحت المراقبة

ـ بالسلامة إن شاء الله

قالت الكسندرا : شكرا أستاذ نعيم

***

ذهبت ميرا للمطبخ لصنع وعمل القهوة للدكتور ، وغيرت الكسندرا ملابس الخروج ، ثم جلست تتصل بباريس بشقة كاترينا وبعد عتاب ونقل خبر مرض الوالد وعملية القسطرة القلبية قالت كاترينا موضحة توقف الاتصال بها : حدث خطأ أثناء العلاج فرحت في غيبوبة استمرت أيام وسأتوقف عن التجارب التي تجرى عليّ كما تبين لي وسأعود قريبا كلهم تجار بشر

ـ أهلا وسهلا والحمد لله على السلامة أخبار مزعجة .. هل اتصلت بك امك؟

ـ ولماذا تتصل ؟

ـ تكلمت معي من أيام في الفندق تريد معرفة أخبارنا فقلت لها انك في باريس لعلها تزورك وتطمئن عليك

قالت كاترينا : لم تتصل بي أو اتصلت في مستشفى المركز .. وأمنا لا يهمها إلا نفسها .. أحببت أن تطمئنوا علي سأعود قريبا

***

قال سامي لنفسه لائما لها : كل ما ظننته فيها كان قبيحا وسيئا ظننتها كأنها ترغب بالهرب .. عملوها فأر تجارب الملاعين .. هل يا ترى ما زال مملوك ينتظر ؟ جعلته يهتم بها ويتعلق بها شفقة عليها وعلى عمي .. سوء الظن سيء أنا اسف يا كاترينا .. هن لو لم يكن يحببن عمي ما تركن لندن وبريطانيا أم الاستعمار والدمار .. سامحيني كاترينا .. نحن أولى بهن نحن أقاربهم كن يعشن هناك بدون أقارب واهل .. عندما يخرج العم من المستشفى سأبدأ بإجراءات الزواج والعقد .. ألا يكفي سنوات عزوبية ؟ لقد سمعت أن مطلقتي وجدت زوجا آخر

خرج العم من المستشفى بمزيد الضعف ؛ ولكنه لما علم بأن كاترينا ستعود قريبا انتعشت روحه ولما اخبره سامي انه سيبدأ بعقد الزواج ، وذهب بميرا المحكمة الشرعية لعقد الزواج فيها وأمام القاضي وعادة اذا كان احد الزوجين أجنبيا يعقد العقد في محكمة الزواج وأقامت الأسرة حفلة بسيطة في شقة العم بين أفراد الأسرتين وسيكون الزواج الفعلي في صالة أفراح في احد الفنادق الكبيرة ، وبدأت العروس بتجهيز نفسها وشراء وتفصيل ملابس الزواج واستعجلت الكسندرا أختها كاترينا لتحضر حفل زفاف شقيقتها ميرا ، وقبل حفل الزفاف بيوم كانت تجلس بجوار أبيها وتخبره بما أصابها فكان فرحا بعودتها وسلامتها ، وليلة العرس كانت الكسندرا تسوق سيارة قدمها لها احد أعمامها هدية فقبلتها ممتنة ، وخلال الحفلة تعرفن على الكثير من أسماء عائلة أبيها وأقاربهن لم يحصل لهن من قبل معرفة أو لقاء بهم ، وكان حفلا

كبيرا وأحيا فريق غناء شعبي الحفلة ، وانتقلت ميرا سعيدة بسامي إلى شقتها الخاصة بها .

وبعد ثلاثة أيام سافرا لقضاء شهر عسل كما يقال اليوم في أوروبا ، فكانت الفتاة تراقب البحر وهي تقول : لم احلم أن أكون زوجتك رغم أني أعجبت بك منذ استقبلتنا في المطار .. وكانت الفكرة انك زوج .. ولما حدثتني الكسندرا عن الزواج لم أتوقع أن تقبل وكانت مفاجأة كبيرة ومفرحة أنك قبلت فظننت نفسي اسعد فتاة في الدنيا

ـ وأنا لما سمعت انك ممكن أن تتغيري لم اجد صعوبة أو حتى ترددا بقبولك زوجة لي ..نحن في العائلة نحب الزواج من الأقارب اذا تيسر ذلك .. أنا محب لك صدقا ؛ وليس تزلفا .. أنت تعرفين انني صريح في الكلام

ـ اعرف .. هل تعلم أن أبي وضع في حسابي خمسة ألاف دولار كهدية زواج ؟

ـ ما شاء الله وأبي كم أهداك ؟

ـ لا اعرف تركت الشيك هناك في الشقة

ـ الحمد لله إذا أحببت الاستثمار فهو سيكون رصيد كبير .. أنا لا اطلب منك العمل يا حبيبتي لكني اخشى عليك الملل والزهق .. واذا ربنا منحنا أطفالا ستعجبك حياة الأطفال

ـ أتريد أطفالا بسرعة؟

ـ هذا امر الله .. المهم ألا تستخدمين الموانع كما تفعل الكثير من البنات

ـ منذ تركت لندن تركتها .. أنا احبك يا سامي

ـ وانا احبك كثيرا

***

كانت ميرا تحرص كل يوم بالاتصال بالكسندرا والبيت وتخبرهم عن أجواء شهر العسل وتذكر لهم سعادتها من زواجها بابن عمها الإنسان ، وهم يذكرون لها ما جد عندهم ، وأن أباها كثر نقله للمستشفى ، وتطوع مملوك صديق سامي بمساعدتهم والترجمة لهم وجدد شغفه بكاترينا وقالت لها الكسندرا إنها بدأت تلين وتفكر بالزواج منه بشكل جدي ، ففرحت ميرا بهذا الخبر

ومثلها سامي ، وكانت ميرا قد تعلمت الصلاة بالعربية بعد قضاء اكثر من شهر في معهد تعلم اللغة العربية الفصحى ، وكان سامي يتكلم معها بالعربية وتارة يترجم لها بعض الكلمات التي لا تفهمها ، ولما رجعا للبلد كانت العلاقة تتطور بين مملوك وكاترينا ، وتفاجأت الفتاة بخبر أن أمها على وشك الوصول لمباركة زواجها وأن الطلاق قد حسم بينها وبين أبيها وقد ابلغها محامي الزواج أن النادي تم بيعه بالمزاد وقسمت الأملاك المشتركة بينهما بالتساوي ، وبعد حين ستصدر شهادات الطلاق الرسمية .

وكانت ميرا تقضي ساعات عمل سامي في بيت أبيها وبين أختيها ، ونزلت الأم في احد الفنادق وطلبت رؤيتهن فيه ، وبعد تشاور مع الأب سمح لهن بذلك المشوار ، وكان ذلك في سيارة الكسندرا التي أهداها لها احد أعمامها بمناسبة زواج ميرا ، وكانت تمارا تنتظرهن في صالة الفندق وبعد عناق وسلام كعادة الناس قالت كاترينا : لماذا هربت منا ؟

قالت بغضب خفيف : الوقت غير مناسب أنا هربت من أبيكن .. أنا قلت له قبل مغادرة لندن يصعب عليّ العيش في بلاد العرب لا احبهم وهم لا يحبونني

ضحكت كاترينا وقالت :ولماذا تزوجت عربيا ؟

ـ كانت الظروف صعبة وخرجت من بلادي الأولى خوفا على حياتي وقضاء عمري في سجون النظام الظالم الفاسد ثم تبعني المسكين تلك الأيام

قالت ميرا : يا أمي أنت عرفتيه قبل ترك بلغراد

صاحت : أنا لم احضر لأحاكم .. جئت لتعلمي فرحي بزواجك ولو بعربي

قالت الكسندرا : مع من تعيشين اليوم في لندن؟

ـ أعيش وحدي لا أعيش مع احد

قالت كاترينا : معقول هذا يا أمي! .. لما أصيب أبي ليلة الجريمة ونقل للمستشفى كان يبيت في فراشه صديقك الصربي

ـ كيف عرفتي ؟

قالت بسخرية : منه ؛ كأنه تفاجأ بوجودنا في الشقة وكان ذاهبا للحمام فقال أنا صديق ماما

ـ انسوا الماضي كيف أنت وسامي يا ميرا ؟

ـ عدت لأصلي يا أمي تعلمت بعض العربية وصرت اصلي وأحاول أن اقرأ القرآن

قالت : وأنت يا كاترينا كيف العلاج ؟

قالت بحدة : لا يوجد علاج كادوا يقتلونني كنت فأر تجارب بين أيديهم

ـ ألم تجدي زوجا لك من أبناء العرب؟

ـ وجدت ولم احسم الأمر وصديق لسامي ؟

ـ وأنت يا الكسندرا

ـ سأعيش لابي يا أمي .. حتى يفرق بيننا الموت

ـ ما زلت تحملين الندم .. هذا قدر الله

***

قدمت تمارا لبناتها مائدة رتبتها مع الفندق ؛ لذلك بعد دردشة صالة الاستقبال انتقلت بهن لصالة الطعام للأكل الشهي فقالت ميرا : هل في اللحم لحم خنزير ؟

ـ لا ، اعرف انك صرت شيخة .. كيف أنت وسامي ؟

ـ كأننا نعرف بعضنا من الطفولة رجل بمعنى الكلمة معي ومع أبي والكسندرا وكاترينا

أثنت عليه الكسندرا وكاترينا فقالت الأولى : رجل يتحمل المسؤولية يخدمنا كأنه أخ لنا واكثر

قالت تمارا : تركت الكحول ميرا

ـ من ساعة اتفقنا على الزواج .. أبي يعاني من الكحول بشدة هذه الأيام

بينت لابنتها الطعام الذي لا يوجد به لحم خنزير ..

واكلت قليلا من لحم الدجاج وكبد البط وأكثرت من شرب الماء ، ولما انتهت حفلة الطعام انتقلن لصالة أخرى لشرب الشاي والقهوة والكحول لمن احب وقالت تمارا : أنا لم أتخل عن أبيكم كما بدا لكن .. أنا طلبت الانفصال عنه من سنوات ؛ ولكن قال لنبقى كأسرة من اجل

البنات .. فأنا كنت أخونه وهو كان يخونني .. فلما أصيب بالرصاصة لم تكن علاقتنا الحميمية حميمية .. كان لي عشاقي وله على الأقل عشيقة .. فهو رأى برحيلنا لبلده انني سأكون له وحده ونحن الآن تركنا بعضنا قانونيا بعد بيع النادي المشترك بيننا

قالت الكسندرا : بكم تم بيعه ؟

ـ بيع بالمزاد بحوالي نصف مليون جنية إسترليني .. وستأخذ كل واحدة منكن مني خاصة عشرين الف جنيه تستثمرها في البنوك أو مشاريع واذا أحببت يا الكسندرا أنت وكاترينا العودة للندن فستجدنني في استقبالكن .. ميرا دبرت أمرها وتزوجت في بلد أبيها

قالت الكسندرا : كاترينا أتصور إنها ستتزوج مملوكا صديق سامي ، اقترحت عليها ما دام الرجل متمسك بها أن تعيش معه فترة خطبة .. ثم يعقد العقد فلا داعي للفندق والعودة للعزف فالصحة افضل والرجل صديق سامي ويعرف ظروفنا وانا سأمضي مع أبي حتى يتوفاه الله فهو بحاجة إليّ

قالت تمارا : شئتن أم أبيتن سأبقى أنا امكن .. المهم أن بيتي مفتوح لكن متى شئتن ؟ وانا أتمنى لكن السعادة

قالت كاترينا : كم يوم ستبقين هنا ؟ هل أنت وحدك ؟

ـ حضرت بصديق معي سأمكث ثلاثة أيام أو ليالي ..

قالت الكسندرا : كيف سنراك ؟ وبدون الصديق .

ـ أنا اتصل وارتب للقاء

***

حدثت الكسندرا والدها بتفاصيل لقائهن مع تمارا فقال معقبا : الحمد لله انتهيت منها لم تكن أم صالحة .. كنت مكرها للعيش معها بعد وجودكن في حياتنا .. رضيت بالذل والخضوع لرغباتها ؛ لكن الحادث انهى الأمر فاخترت العودة لأهلي فهم أولى بي وسأجد في قلوبهم شفقة وعطف نحوي لأنني خشيت أن ترهبن من العيش مع رجل معاق وقذر

قالت الكسندرا : لا تقل ذلك يا بابا نحن نحبك فلولاك لم نكن .. الأم هي حرة في اختياراتها سأعيش معك وبحبك حتى يفرق بيننا الموت ؛ لكن أرجوك أن تقلل من الشراب فها هي كاترينا عادت إلينا لم تهرب حتى ميرا مع أنها تزوجت فهي دائما معك .. وتحدثت مع سامي لما عدت امس أن نعمل مشروعا تجاريا اتصلت به من مكتب نعيم فقد وهبتنا أمنا كل واحدة عشرين الف جنيه من صفقة النادي

فقال : أنا مثلها كلفت ساميا لما تحول الأموال ليضع في رصيد كل واحده منكن خمسا وعشرين الف جنيه أسالوا ساميا قبل أن اعرف ما قلتيه الآن وأنا سأشارك بالمشروع الذي تسعون اليه كالعادة قامت ميرا تعانق أباها وتشكره على هبته الجديدة وقالت : لم يحدثني سامي عنها بعد

***

عقدت الأسرة خطبة لكاترينا ومملوك بشكل رسمي بدون كتابة عقد زواج لمدة ثلاثة اشهر يجلسون مع بعض ويخرجون مع بعض لمزيد من فهم بعضهم بعضا ، وبارك الحاضرون لهما الاتفاق ، وكان ممن حضر الاتفاق الشفوي نعيم وعمير كشهود ، وانصرف المدعون بعد الاتفاق والتحلية وبقي مملوك وكاترينا يستعدون للخروج إلى حديقة عامة أو مطعم سياحي لمتابعة الحوار ، وجلس سامي مع عمير ونعيم في المكتب وكان يقول : اذكر يا مهندس عمير انك لمحت لي عن عريس مناسب للكسندرا فأنا كما ترى ولي أمرهن منذ جئن هذه الديار

قال نعيم : والله أنت افضل ولي امر .. البنات مهما تنمرن يبقين ضعيفات .. لدى عمير عريس مناسب لها اذا قبلت به .. هو قد لان وقال للمهندس حسب ما حدثني بعد النظر والتعرف قد أغامر

طلب نعيم من مراسل المكتب عمل شاي للجميع ولما استفهم عن المحاسب معن قال نعيم : انصرف مبكرا له ابن مريض .. مرض بسيط كما افهمنا

التفت سامي لعمير : اشرح لي يا أبا يوسف

ـ ألا تذكر لما أخبرتني بانك ستتزوج ابنة عمك وانها قبلت التغيير وتغيير المهنة وانك تبحث

عن عريسا للكبيرة وقد دبرت امر كاترينا من اجل خاطر عمك .. القصة يا أخ سامي لي ابن عم اسمه أبو بهاء هكذا نناديه .. هو اسمه فهو غير متزوج وهو اكبر من الكسندرا بسنة أو اقل بسنة حسب حساباتي ..ابن عمي أبو بهاء ذهب لبريطانيا للدراسة وفشل فيها وضاع في شوارعها وملاهيها وحاناتها وخماراتها بين بنات الهوى وبين الحشاشين اكثر من عشر سنين ثم استنجد بعمي ليعود فذهب احد أشقائه واحضره محطما بين أمراض الكحول والمخدرات والنسوان عاش كالمشردين .. فسكن في بيت من بيوت عمي بشروط فرضها عليه ألا يسكر في البيت واذا سكر خفية فلا يعود قبل أن يصحى ، ثم لا يجلب أي بنت للغرفة التي يعيش فيها أو أي شاب صديق أو غير صديق الغرفة للأكل والنوم فقط .. والطعام من العائلة يرسل اليه وتعالج من أموال العم ولما تحسن الوضع عرضوا عليه الزواج فأبى رفضا قاطعا وكان عاطلا عن أي عمل .. مصروفه لليوم من عمي .. وقصة سفره للندن للدراسة لأن عمي أبا زيد عمل مع الإدارة الإنجليزية في آخر أيامها في حكم بلاد الشام أو فلسطين والأردن ومصر فهو ما زال يملك جواز سفر بريطاني وجنسيتها فاحب أن يستفيد أبناؤه من خدمته الإدارية مع الإنجليزية فارسل ثلاثة للدراسة هناك وكان بهاء احدهم ففشل كما قلت والآن نتحدث عن إقناع بهاء بالزواج من شبه إنجليزية وهي الكسندرا

رشف المهندس قليلا من الشاي وعاد يقول : لما علمت منك أن بنات عمك يمكن أن يتزوجن من أبناء البلد زواجا شرعيا ودينيا خطر في بالي العم أبو بهاء فزرته وحدثته عن بنت عمك الكبيرة وقلت قصة ميرا وتركها الخمر والرقص والعري فبعد بضع جلسات قال : اذا فعلت كما فعلت أختها وقبلت بي وقبلت بها نتزوج على بركة الله .. فأبو بهاء رجل متدين مثلنا يصلي ويصوم ويذهب للمسجد دين خفيف مثلنا اعني ليس متعصبا ومتشددا كما نرى ونسمع عن بعض الشباب

قال سامي : لم يتحصل على أي شهادة بريطانية

ـ درس سنتين ثم سقط في براثن الشهوات

ـ على كل حال سألتقي أنا وإياك بالعم أبي بهاء وأقيم الوضع على الطبيعة كما يقال لأن زواج الكسندرا سيختلف عن زواج ميرا وكاترينا ؛ لأنها أكثرهن اهتماما ورعاية لأبيها .. هل يا ترى يقبل العيش في شقة عمي حتى يتوفاه الله ؟

ـ اعتقد يا نعيم انه سيوافق .. هو ليس له شقة .. هو يعيش في غرفة يأكل ويشرب ويستحم فيها .. واذا قبل الزواج أتوقع أن يعطيه عمي شقة ليتزوج فيها أو يستأجر له

قال : جميل ! علي بالجلوس معه والتعرف عليه يا حضرة المهندس الفاضل

***



أبو بهاء

انطلق عمير مع سامي لغرفة ابن عمه بهاء وعرف ابن عمه على الطبيب سامي وسمع منه سامي قصة حياته ، ولم تختلف كثيرا عن ما رواه عمير ، قام سامي بسرد قصة عمه والنقاط المهمة فيها وانه تزوج واحدة وأن صديقه المعالج الطبيعي مملوك على وشك الزواج من الأخرى ، والكسندرا الكبيرة يحب أن تتزوج مثل أختيها وجعل ذلك من مهمته وواجبه نحوهن ؛ ولكنها ترفض حاليا بسب اهتمامها بابيها العاجز والمشلول وانه قد يستطيع إقناعها بالزواج اذا قبل بالعيش مع عمه أمير ، وبين له أن الأعمار بيد الله ؛ ولكن أعراض الموت قريبة منه لديه تعب شديد في الكبد ، وبين يوم وآخر ينقل للمستشفى ، وقبل فترة تعرض لأعراض أزمة قلبية أدت لعملية قسطرة وقال خاتما الشرح والبيان : اذا تقبل بالعيش مع عمي سنتابع مشروع الزواج

قال بهاء : والرقص وغيره

ـ تقريبا انتهى العمل به فميرا زوجتي تركته برغبة منها وكاترينا هي عازفة الآت طرب والكسندرا تعبانة منه ، وقد حصلت كل واحدة منهن على ثروة من أمها ومن أبيها وسنعقد اجتماع يا عمير لإنشاء استثمار ومكان للشغل .. لكنها لن تشتغل طوال الوقت فهي التي تتابع أحوال العم من نظافة وتغيير الفوط الرجالية وتغسيل الوالد بين كل فترة وأخرى .. عليك يا سيد بهاء أن تفكر جيدا للزواج من قريبتي ؛ فاذا فكرت ورحبت فأنا سأسعى لتغير رأيها وتقبل بك زوجا على أن تعيش معها في البيت .. وأنا بفضلك على غيرك لأنها ضعيفة بالعربية ومع الوقت ستتعلم كما بدأت زوجتي تتقن الصلاة وقراءة القرآن

قال عمير : هل وضحت الصورة يا عم أبا بهاء ووالدك الحبيب فهمته الأمر فلم يمانع أن تتزوج مثل إخوتك وأبنائهم

ـ أشكرك يا دكتور أنا قل ٧٠٪ موافق .. اذا أعطيتني إشارة اقوى منها سأوافق تماما .. وانا مستعد للعيش معها كما قلت إنسانيا ولا احرمها من رعاية أبيها المسكين

ـ ممتاز ! سأجتهد معها واترك لك الإشارة عند ابن عمك عمير

قام سامي بإعادة عمير للعمارة وشكره على مساعدته في البحث عن زوج مثل ابن عمه بهاء

***

عقد سامي اجتماعا مع بنات عمه وعمه لطرح مشروع يعملن به بعد تركهن لمهنهن اللاتي احترفنهن من حياتهن في لندن ، وحضر الاجتماع خطيب كاترينا فقال مملوك مقترحا : سوق كبير في حي كبير .. واسهب في قصده بالسوق الكبير لبيع الطعام والشراب الحلال واللحوم وأشكال الخبز العربي والغربي واختار الموقع في حي يكثر فيه الأجانب كضاحية القمر

وقال سامي : مشروع واعد واستثمار جيد ؛ وليس شرط أن تعملن فيه بأنفسكن حسب أوقات الفراغ سيكون كادر العمل من غيركن .. وممكن أن تعملن في إدارة قسم معين مثل قسم الملابس قسم الأدوات المنزلية لأن المشروع سيكون أقساما وعدة طوابق

وتناقشوا ببعض التفاصيل وقال سامي : يمكننا إنشاء مكتب لشراء المباني والعقارات وبيعها أو تأجيرها مثل هذه العمارة .. فصاحب هذه العمارة لا يعمل بها بنفسه أو مشروع طبي بإنشاء عمارة وتأجيرها عيادات طبية كالمجمع الذي اعمل بها

فقالت الكسندرا : أنا ارغب بمشروع نشتغل به بأنفسنا

قال سامي : اذكري مثالا على ما ترغبين وتذكري أن اكثر وقتك سيكون هنا عند العم ..

ـ فكرت بإدارة مدرسة خاصة قد تناسبنا أنا وأخواتي

قال مملوك : مشروع جيد يا سامي! .. لكن اللغة وفهم الناس والطالبات

قالت : نحن مع الوقت يتحسن أداؤنا اللغوي واعتقد أن المعلمات يفهمن الإنجليزية إلى حد عالي .. هذه فكرة من أبي

قال سامي : لماذا مدرسة يا عمي ؟

قال العم : معاناة اللغة وفهم الكلمات والجمل العامية أو اللهجات مشكلة قد تؤدي إلى سوء فهم بين السامع والمستمع .. فالمدير يتكلم بكلمات واضحة وبسيطة للإدارة والمدرسين لأن المدرسين أو المدرسات سيكنّ متعلمات في الجامعات وتعلمن الشيء ولو اليسير من اللغة

الإنجليزية .. واذا كانت السكرتيرة أو اكثر يتقن الإنجليزية سيسهل التفاهم

قال سامي : سنفكر في مدرسة كلام عمي يدل على خبرة هل عملت في مدرسة أيام بريطانيا

ـ حياتي في النادي الليلي وفيه مطعم وصالة رقص والمطعم يتعامل بلغات شتى يا سامي مع الإشارات نفهم على الزبون وما يرغب .. فبريطانيا كل أجناس الأرض فيها الروسي الصيني الفيتنامي الهندي الإندونيسي

قال مملوك : صحيح .. كما قال سامي سنفكر بمدرسة

***

بعد انتهاء الاجتماع والانصراف اتصل سامي بالكسندرا وعرض عليه زوجا مناسبا ويقبل العيش مع والدها وذلك بعد زواج كاترينا وطال الحديث بينهما وقالت : اخشى إن فعلت لا يتحمل الحياة مع لسان أبي وكثرة شتمه لأمي المطلقة .. ولكنها فكرة مقبولة .. قلت الشاب عاش في بريطانيا

ـ هو من سنك تقريبا ربما أنت اكبر منه بسنة أو هو اكبر بسنة سنعرف عند الجد أنا قابلت الرجل وهو متدين مثلي حبتين .. وأنت ستتعلمين الدين كما اتفقنا رويدا رويدا الدين ليس صعبا يا الكسندرا كما تغيرت ميرا ستتغيرين بإذن الله .. والرجل تحطم قبل مغادرة بريطانيا ذهب للدراسة فنسي الدراسة وتعلق بالنساء والمخدرات والفساد حتى يئس الأهل من دراسته فذهب شقيقه وجلبه ويعيش عالة على والده يصرفون عليه ؛ ولكني لما رأيته كان رجلا طيبا وأنت ستحكمين عليه في النهاية .. وقبل بطيب نفس أن يسكن مع عمي وهو في النهاية رجل تسكنين اليه

ـ أنا اشكر اهتمامك بنا وبمصالحنا هو يتكلم الإنجليزية

ـ عاش اكثر من عشرات سنوات فيها

ـ نتعرف عليه قلت هو قريب مهندس العمارة قائد فريق الصيانة

ـ نعم المهندس عمير يكون ابن عم له وهو الذي دلني عليه .. وأهله لما رجع وتحسن وضعه

الصحي عرضوا عليه الزواج فظل رافضا حتى اقنعه عمير بالزواج منك وقابلته فرايته رجلا هادئا ومقبولا ومناسبا لسنك والعيش مع عمي

ـ فضلك على رأسي يا سامي سأفكر بالأمر بعمق وانظر خياراتي وانا تهمني حياة أبي ورضاه عليّ

ـ سأعرفك عليك وتدرسيه وتعطيه إشارة أولية فحسب .. هو لم يكن يقبل بالزواج لكن ابن عمه حبب اليه أن يكون له أسرة

***

قبل والد الكسندرا فكرة زواجها من رجل يعيش معهما ومعروف لسامي ، فوافق على مقابلة الرجل واللقاء به ، فقالت كاترينا : أنت سعيد يا أبي بزواجنا من بلادكم

ـ سعيد جدا يا حبيباتي أنا اعلم اني على وشك النهاية فبدني يضعف كل يوم عن الآخر واهم شيء أن أراكن متزوجات وكم تمنيت أن أرى أحفادي منكن !

قالت الكسندرا : ميرا حامل يا أبي!

كاد يقفز عن الكرسي فرحا : صحيح يا الكسندرا !

ـ قالت ذلك ليلة الاجتماع ؛ بل ذهبت للعيادة لتخبر سامي بذلك ، فكاد هو الآخر أن يهجم عليها من الفرح في العيادة وأمام المرضى ليعانقها .. ولكن هذا عندهم غير مقبول في أماكن عامة يبدو

رفع ذراعيه للسماء فقال : يا رب مد في عمري حتى أرى أول حفيد .. فعلي أن أسر وانبسط بزواجكن وما دام الرجل لا يمانع من حياته معنا أو معي الكسندرا فلنتعرف عليه .. هل حسمت أمرك يا كاترينا؟

ـ نعم يا أبي فاذا وافقت الكسندرا على بهاء سأتعجل بالقرار ونتزوج .. فمملوك شاب طيب قبلني رغم مرضي وعلى العموم الزواج تجربة قد تنجح وقد تفشل وأنت اكبر مثال لنا يا أبي

فقال آسفا : تركت الجامعة من اجل عيونها وهي خذلتني .. نعم الزواج تجارب

اخبر سامي عميرا برغبة الكسندرا ووالدها بمقابلة بهاء والتعرف عليه .. وعمي يرحب بزواجها ما دام قبل الرجل بالعيش معهم .

اشترى عمير ملابس لابن عمه وأخذه لحمام تركي وهندسه وضبطه وأخذه إلى شقة العم أمير وبعد الضيافة أستأذن عمير واخبر ابن عمه انه في مكتب الإدارة في انتظار انتهاء جلسة التعارف وكان الرجل ما زال يحسن الإنجليزية وبين لهم انه ما زال يقرأ الروايات الإنجليزية ويفهمها ولخص للأسرة حياته في بريطانيا ، ولم تزد سطرا عن كلام سامي لهم ، وبين لهم رفضه الزواج بعد عودته ؛ ولكن عميرا اقنعه بالزواج وتطليق العزوبية من فتاة إنجليزية الطابع وفي النهاية ختم قائلا : أنا قبلت بالعرض الذي عرض علي .. وانا ليس لدي مانع بالعيش معكم وانا أتمنى لك طول العمر يا عم أمير

فقالت الكسندرا : أمستعد للعمل يا بهاء؟

ـ أنا منذ عدت لا اعمل أبي ينفق علي .. وما نوع العمل المطلوب ؟

ـ ماذا تحب من الأعمال ؟

ـ لا ادري فاختاري مثالا على عمل وافكر فيه

قالت كاترينا : نحن نفكر بإقامة مدرسة نستثمر فيها أموالنا كما يفعل رجال الأعمال

قال : مدرسة ! لا احمل شهادة ليسمح لي بالتدريس

قالت الكسندرا : لن تعمل مدرسا تعمل مسئولا ماليا مثلا

ـ لا اعرف شيئا بالمحاسبة النظامية ممكن أن اعمل مساعدا لمحاسب مع بعض دورات فيها ممكن اعمل مدربا رياضيا أو مساعدا لمدرب الرياضة

قالت : المهم انك مستعد للعمل وترك البيت أتسهر خارج الأسرة؟

ـ لست محبوسا أنا درست سنتين في الجامعة في كلية الأعمال .. ولما فسدت فسدت حياتي الجامعية .. أنا اذهب المسجد كثيرا لست سجينا

ـ يعني أنت تخرج من البيت

ـ اخرج واحيانا اذهب لمشاهدة منافسات كرة القدم

قالت : جيد ! أنا اخطأ فهمي ظننت انك معتقل في البيت لما قلت لم اعمل

ـ أنا عرفت لندن معرفة كبيرة ؛ وربما نادي امك وأبيك سهرت فيه أنا انسى أسماء الأماكن لكثرتها وتشابه أسمائها

قال الأب : معك حق .. هل حاولت الدراسة هنا ؟

ـ رفضت عرض أبي وقبلت الخمول .. أسالوا ما يخطر ببالكم

قالت كاترينا : أتقبل بهذه ـ وأشارت لأختها ـ زوجة لك ؟

ضحك وقال : ولماذا جئت ؟ أنت اسمك كاترينا أسماء صربية قلت يا عم أمير

ـ كان ذلك من حبي لزوجتي أنت مثقف يا بهاء

ـ حياتي منذ عدت القراءة للأدب الإنجليزي بأشكاله المتعددة اقصد الروايات القديمة والمعاصرة انتم كيف ترونني بعد كل هذا الامتحان ؟

قالت الكسندرا باسمة : أنت رجل لطيف كما قال ابن عمي !

ـ الدكتور التقيت به نعم هو لطيف ويستطيع الإقناع بسرعة .. هل بقي شيء ؟

ـ هل يمكنك أن تعيش معي يا بهاء وانا أعيش مع أبي ؟

ـ أنا قبلت العيش معكم قبل رؤيتكم .. فأنتم أيضا لطفاء والعم أمير كأنني اعرفه من زمن ولكني لا اذكر اني قابلته في بريطانيا

قالت الكسندرا : سنجلس جلسة أخرى ونضع الخطوط الرئيسية لحياتنا

ـ ضعي ما تشائين من الخطوط أهم الخطوط يا سدتي ترك الخمر والرقص الذي قيل انك كنت تمتهينه ووعد بتعلم أبجديات الدين

ـ هذه الأشياء أرتبها مع ابن عمي سامي فهو ولينا وصديقنا وأبونا الآخر

ـ يستحق ذلك .. كلمني ابن عمي كثيرا عنه وعن حبه لكنّ ولعمه أمير فالدكتور طيب وليس جلفا وخدوم ويحب لكن الخير والسعادة صدقا لا نفاقا

قالت كاترينا مداعبة بهاء : ألا تغار منه؟

ضحك وقال : أغار من شخص يحب عمه وبنات عمه وتهمه سعادتهن من أجلهن ومن اجل عمه ومن اجل العيلة كلها

قالت الكسندرا : أبكيتنا يا بهاء !

ـ أنا قابلته مرة واحدة ..فظننت أني أعرفه من أيام الصبا .. هو اصغر مني بسنوات قليلة من جلينا كما نقول

ـ حسنا أيها السيد ألك تلفون ؟

ـ اتصلي بابن عمي تحت فيوصل إلي الخبر

ـ سنلتقي قريبا حقيقة معرفتنا بك شرف

ـ وانا كذلك

***

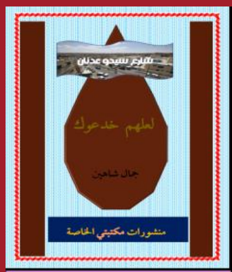
اثمر لقاء الكسندرا باختيار بهاء زوجا لها ، وكان الأهم في نظرها نقبله العيش مع والدها وحضر والد بهاء وتعرف على السيد أمير وقبل برضا زواج ابنه من ابنته ، ونتيجة لذلك أسرعت كاترينا بالزواج من مملوك لتفسح المجال لزواج الكسندرا بها أنها ترغب بالزواج من بهاء ، وتسارعت الأحداث فبعد زواج كاترينا بدأ الاستعداد لزواج الكسندرا التي أعجبت بزوجها إعجابا لم تتوقعه هي ولا أخواتها ، وتغير ترتيب الشقة بتحويل غرفة البنات إلى غرفة نوم لبهاء والكسندرا ؛ بل طرح مشروع شراء عمارة من ثلاث طوابق لعيش البنات في نفس العمارة حتى يقن كلهن بجوار أبيهن وقبل الأب بشراء هذه العمارة من ثروته، وقبل الأزواج أن تسجل البناية باسمهن وفارقن عمارة مؤمن سعد ١ إلى عمارة مستقلة ، وكانت في أرحامهن أجنة ووضعت ميرا بعد شهر من الرحيل طفلها الأول وسماه سامي أميرا على ذكرى عمه وأما كاترينا والكسندرا فولدن في زمن متقارب ، وقبل ولادة الكسندرا فارق أمير الدنيا وهو سعيد بحفيديه وبزواج كريماته في بلد أبيهن وترك لهن ثروة كبيرة عدا العمارة .

المحتويات


{هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى}

قصص شارع سيدو عدنان

١
لعلهم خدعوك

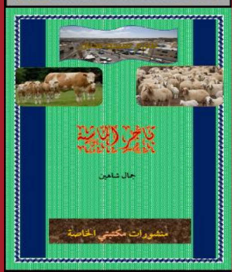




٢
غربة مهرب

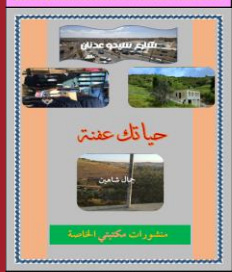
٣
زوجتك ابنتي

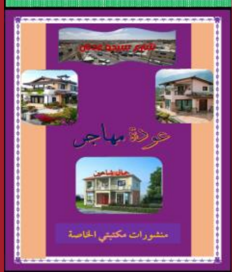




٤
تاجر الماشية

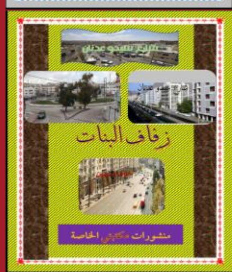
٥
حياتك عفنة

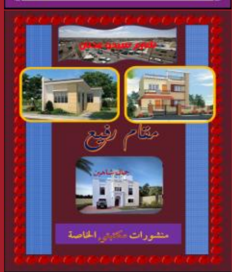




٦
عودة مهاجر

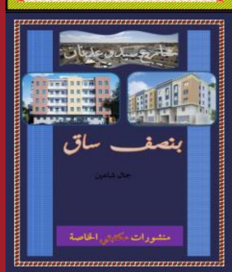
٧
زفاف البنات





٨
مقام رفيع

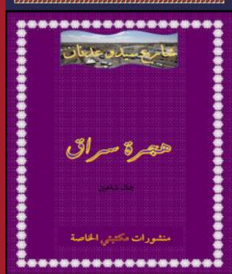
٩
بنصف ساق





١٠
ميراث البحار

١١
هجرة سراق





١٢
عضو البرلمان

شارع سيدو عدنان

٧

زفاف البنات

أعلم من العائلة أن لى عما يعيش فى لندن ◉ لأننى ولدت بعد هجرته إلى أوروبا ◉ وعلمت أن ابنا له قتل فى مشاجرة فى ناديه الخاص ◉ وأصيب هو بالشلل ◉ ثم علمت انه قرر العودة لوطنه الأول معاقا وبصحبة زوجته الصربية الأصل وبناته الثلاثة للعيش بيننا ◉ فكلفنى أبى برعاية العم وأسرته قدر الإمكان .. فقبلت القيام بالمهمة الإنسانية فاستأجرت شقة لهم فى حى الغزال حيث اسكن أنا فى شارع سيدو عدنان حى السفاح ◉ كانت شقة واسعة وجيدة لأسرة العم وأثثتها بكل ما يلزم من عفش وأدوات ◉ وكنت فى استقبالهم فى المطار ◉ ورحبت بهم وتعرفت على عمى لأول مرة وأسرته ◉ ونقلتهم إلى مسكنهم بكل سلام وترحيب .

لم أكن افكر بالزواج من احدى بنات العم لاختلاف عاداتنا عن طباعهم الإنجليزية ◉ فهن من مواليد بريطانيا وتعلمن فيها مهنا لا تروق لأسرتنا ◉ تعلمن الرقص والعزف فى الملاهى والنوادى وصالات الفنادق الكبيرة ◉ فهذه وظائفهن ◉ لكن حدث لهن انقلاب حقيقى بعد استقرارهن بيننا ◉ رغبن بالتغيير للحياة الأفضل ◉ فتزوجت الصغيرة منهن ◉ واستطعت بفضل الله أولا وآخرا من تزويج الكسندرا وكاترينا ◉ وعدن لأصلهن العربى الإسلامى ... سامى سيد عدنان .

٢٠٢٥